

محمود سبلي

حياة أمين الأمة
أبو عبدة بن الجراح

دار الجيد
بيروت - لبنان

حياة امين الامة
أبو عبيدة بن الجراح

محمّد وسلي

حياة أمين الأمة أبو عبدة بن الجراح

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ... وَأَمِينُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ ... أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ »

طار البشير
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لـ (دار الجيل)

الطبعة الاولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله ..

وأشهد أن محمداً رسول الله ..

وبعد ..

لم يُكْرَم اللهُ أَحَدًا من الأنبياء في أصحابه .. مثل ما أكرمَ
خاتم النبيين .. صلى الله عليه وسلم .. في أصحابه .. رضي الله
تعالى عنهم ..

وإنك لتعجب عَجَبًا لا يتناهى .. ما من أحدٍ من أصحاب
رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلا وهو .. أُمَّةٌ وحده !!
تتجمع فيه خصال الخير كلها .. في توازن وانسجام !!

عن عائشة قالت .

« سأل رجلُ النبيَّ .. صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناسِ
خَيْرٌ ؟ »

« قالَ : القرْنُ الذي أنا فيه .. ثمَّ الثاني .. ثمَّ الثالث .. »
و « قالَ رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم : لا تُسبُّوا
أصحابي .. لا تُسبُّوا أصحابي .. فوالذي نفسي بيده لو أن
أحدكم أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذمياً .. ما أدركَ مُدَّ احتلِمهم ولا
نصيْفَهُ . »

[رواها مُسلم]

وقالوا : « وفضيلة الصحبة ، ولو لحظة ، لا يوازئها عمل ، ولا
تنالُ درجاتها بشيء » !!

وها هو أحد أصحابه ، رضي الله عنهم ..

أبو عبيدة بن الجراح !

ذلك العملاق من عمالقة الحقِّ والحقيقة ..

سوف تشهد في هذا الكتاب .. إن شاء الله .. من عجائبه العُلى
ما يدفعك أن تقول :

﴿ مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ .. ﴾
﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ .. ﴾
﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ .. ﴾
﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ .. ﴾
﴿ تَرَامُ رُكُوعًا سُجَّدًا .. ﴾
﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا .. ﴾
﴿ سِيَامًا فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. ﴾ !!

ولقد كان أبو عبيدة بن الجراح ، مثالا فذاً من هؤلاء العظماء
الموصوفين .. ذلك الوصف الجميل !!
وهذا هو موضوع الكتاب ..

حمود شلبي

١٤٠٩ هـ

١٩٨٩ م

ذَلِكُمْ ...

أَبُو عُبَيْدَةَ ...

بِئْسَ الْجِرَاحُ ..!؟

إِنَّ أَمِينَنَا .. أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ ..
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ !؟

عن أَبِي قِلَابَةَ قَالَ :

« حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ..

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. قَالَ :

« إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ..

« وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ ..

« أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ » ..

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ]

أَمِيناً .. حَقَّقَ .. أَمِينٍ !؟

عن حذيفة .. رضي الله عنه .. قال :

« قال النبي .. صلى الله عليه وسلم .. لأهلِ نَجْرَانَ :

« لأَيمَانٍ .. »

« يَعْنِي عَلَيْكُمْ يَعْنِي .. »

« أَمِيناً حَقَّقَ أَمِينٍ .. »

« فَأَشْرَفَ أَصْحَابُهُ .. »

« فَبَعَثَ أَبَا عَمِيْنَةَ .. »

« رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .. »

[أخرجه البخاري في صحيحه]

أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ .. أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ ١٤

عن أنس بن مالك قال :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ..

« وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُصْرُ ..

« وَأَصْدَقَهُمْ حَيَاءَ عُثْمَانُ ..

« وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ..

« وَأَقْرَبُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ..

« وَأَقْرَبُهُمْ أَبِي ..

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ..

« وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ..

« أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ .. »

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

إِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ..

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ !؟

عن أنس بن مالكٍ قال :

« قال رسولُ اللهِ .. صلى اللهُ عليه وسلم :

« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ..

« وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُصْرٌ ..

« وَأَسَدَقَهُمْ حَيَاةَ عُثْمَانَ ..

« وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ ..

« وَأَفْرَضَهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ..

« وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ..

« أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ..

« وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ..

« أبو عبيدة بن الجراح » ..

[اخرجہ الترمذی]

★

ذلكم .. أبو عبيدة !!

أو .. شيء عن أبي عبيدة !

أو .. شهادة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لأبي

عبيدة !

والآن .. هلم إلى .. حياة أمين الأمة .. رضي الله تعالى عنه !

الخطوط المريضة ...

من حياة ...

أبي عبيدة بن الجراح؟!!

الائمة

الأقدمون .. من ساداتنا العلماء الفقهاء ..

أصدق قبيلاً .. من كثير من علماء اليوم ، الذين هم عالة على
الأقدمين ، يقبسون من كتوزهم ، ويزخرفون ما اقتبسوا ، ثم
يزعمون للناس أنهم هم المبدعون ..

واليك شيئاً مما قال السابقون الصادقون .. عن أبي عبيدة ،
وكيف انهم لا يثرثرون ولا يتفقهون .. وإنما خير الكلام ما
قلّ ودلّ ..

قال الامام العيني في شرحه على صحيح البخاري :

باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ..
رضي الله عنه

- « اي هذا باب في بيان مناقب أبي عبيدة ..
» واسمه .. عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن ابيب
ابن ضبة بن الحارث بن فهر ..
» يجتمع مع النبي ﷺ .. في فهر بن مالك ...
» وأمه أم غنم .. بنت جابر بن عبدالله بن العلاء بن عامر
ابن عميرة بن الوديعه بن الحارث بن فهر ..
» وهو .. امين هذه الأمة ..
» وُقْتَلَ أبوه يوم بدر كافرآ ..
» ويقال انه هو الذي قتله ..
» ومات أبو عبيدة ، وهو أمير على الشام ، من قبل عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ..
» مات سنة ثمان عشرة ، في طاعون عمواس ..

« وقبره بغور بيسان ، عند قرية تسمى عمتا .
« وصلى عليه معاذ بن جبل » .

✱

« حدثني أنس بن مالك ..
« أن رسول الله ﷺ .. قال :
« إن لكل أمة أمينا ..
« وإن أميننا أيتها الأمة ..
« أبو عبيدة بن الجراح ، ..

« الحديث أخرجه البخاري أيضاً في المغازي .
« وأخرجه مسلم في الفضائل .
« وأخرجه النسائي في المناقب .
« (أميننا) - الأمين الثقة الرضا .

« (أيتها الأمة) - صورته صورة النداء ، لكن المراد منه
الاختصاص .. أي أميننا ، مخصوصين من بين الأمم أبو عبيدة .
« والامانة مشتركة بين أبي عبيدة وغيره من الصحابة .

« لكن المقصود بيان زيادتها في أبي عبيدة .

« والنبى .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. خص كل واحد من كبار الصحابة بفضيلة واحدة وصفه بها ، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره ..

« يوضح ذلك ما رواه الترمذي ، من حديث قتادة ، عن أنس بن مالك ، رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم :

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر

« وأشدهم في أمر الله عمر

« وأصدقهم حياء عثمان ..

« وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل ..

« وافرضهم زياد بن ثابت ..

« واقروهم أبي بن كعب ..

« ولكل امة أمين ، وامين هذه الأمة ، أبو عبيدة بن الجراح .

« ورواه ابن حبان أيضا . »

★

عن حذيفة .. رضي الله عنه قال :
« قال النبي .. صلى الله عليه وسلم .. لأهل نجران :
« لأبعثنَّ - يعني عليكم يعني -
« أميناً حتى أمين ..
« فأشرف أصحابه ..
« فبعثت أبا عبيدة .. رضي الله تعالى عنه .. »

« الحديث أخرجه البخاري أيضاً في المغازي ..

« وأخرجه مسلم في الفضائل ..

« وأخرجه الترمذي في المناقب ..

« وأخرجه النسائي ..

« وأخرجه ابن ماجه ..

« قال ابن إسحاق : قدم وفد نصارى نجران ، ستون راكباً ،

منهم أربعة وعشرون رجلاً من اشرافهم ، وثلاثة منهم يؤول اليهم

أمرهم .. وهم العاقب والسيد وأبو حارثة - أحد بني بكر بن وائل

اسقفيهم وصاحب مدارسهم -

« ولما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان ،

وقد حانت صلاة العصر ، فقاموا يصلون إلى المشرق .

« فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : دعوهم ..

« وكان المتكلم ابا حارثة .. والسيد .. والعاقب ..

« وسألوه ان يرسل معهم اميناً ..

« فبعث معهم ابا عبيدة بن الجراح ..

« وكان أبو حارثة يعرف أمر رسول الله .. صلى الله تعالى عليه

وسلم .. ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق ..

« (لأبعثن) : اي لما سألوا أن يرسل اليهم أميناً ، قال لأبعثن

اليكم رجلاً أميناً حقّ أمين ..

« (فأشرف أصحابه) : اي تطلعوا إلى الولاية ، ورجبوا

فيها ، حرصاً على أن يكون هو الأمين الموعود في الحديث ، لا

حرصاً على الولاية من حيث هي ..

« وفي رواية مسلم . فاستشرف لها أصحاب رسول الله ..

صلى الله تعالى عليه وسلم .

« (فَبَعَثَ ابا عبيدة) ..

وفي رواية ابي يعلى :

« قم يا أبا عبيدة .. فأرسله معهم . »

نِعْمَ الرَّجُلُ ..

أبو عبيدة بن الجراح ١٤

عن أبي هريرة .. رضي الله عنه قال :

« قال رسول الله .. ﷺ :

« نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ ..

« نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ .

« نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ..

« نِعْمَ الرَّجُلُ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ ..

« نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ ..

« نِعْمَ الرَّجُلُ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ..

« نِعْمَ الرَّجُلُ مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ . »

[أخرجه الترمذي .. وقال]
[هذا حديث حسن .]

اقول : إذا قال سيد الأولين والآخرين : نِعْمَ الرَّجُلُ .. أبو
عبيدة بن الجراح ..

« علم هنالك .. ان ابا عبيدة ، قد نال اشرف ما ينال !!

قال الامام ابن العربي المالكي ، شرحاً على صحيح الترمذي :

« واما ابو عبيدة ، فقد كان ممن يرى تقديمه في الامانة ، على
جميع الصحابة ، عمر ..

« حتى روي عنه أنه ، لو كان حياً ، عند موت عمر ، ما عهد
إلى سواه .. » !!

★

عن حذيفة بن اليمان قال :

« جاء العاقبُ والسَّيِّدُ إلى النبيّ .. صلى الله عليه وسلم ..
فقالا :

« ابعثْ مَعَنَا امِينًا ..

« فقال : فاني سابعثُ معكم امِينًا حَقَّ امِينٍ ..

د فأشرف لها الناسُ ..

د فبِمَعَشَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ .. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ..

★

وقد رُوِيَ عن 'عمرَ .. وأنسٍ .. رضي الله عنهما ..

» عن النبيِّ .. ﷺ .. قالَ :

د لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ..

د وامينُ هذهِ الأُمَّةِ ..

د أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ ، ..

[رواها الترمذي]

متى ..

ايام ..

البطل !؟

قال تعالى :

- ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ .
- ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ .
- ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .
- ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَى .
- ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ . ﴾

[الواقعة ١٠ - ١٤]

وأبو عبيدة من اسبق السابقين ..
فهو في ترتيب أول من أسلم هكذا :

قال ابن هشام :

« وآمنت به خديجة بنت خويلد ..

« ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .. عليّ بن أبي طالب ، وهو يومئذ ابن عشر سنين .. »

« ثم أسلم زيد بن حارثة ، مولى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد عليّ بن أبي طالب . »

« ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة .. »

« فأسلم بدعائه .. عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ، ﷺ ، حين استجابوا له ، فأسلموا وصلوا .. »

« فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام .. »

أقول : وهؤلاء الثمانية الذين سبقوا الناس هم :

- ١ - عليّ بن أبي طالب ..
- ٢ - زيد بن حارثة ..
- ٣ - أبو بكر بن قحافة ..
- ٤ - عثمان بن أبي عفان ..
- ٥ - الزبير بن العوام ..
- ٦ - عبد الرحمن بن عوف ..

٧ - سعد بن أبي وقاص ..

٨ - طلحة بن عبيد الله ..

هؤلاء هم العمالة الثانية ، الذين سبقوا الناس جميعاً إلى الاسلام
من الرجال .

فمن هو العملاق التاسع !؟

من هو هذا التاسع السعيد ؟

قال ابن هشام :

« ثم اسلم .. أبو عبيدة بن الجراح ..

« واسمه .. عامر .. بن عبدالله .. بن الجراح .. بن

هلال .. بن ابيب .. بن ضبة .. بن الحارث .. بن فهر .

« وأبو سلمة ..

« والارقم بن أبي الارقم .. الخ ..

إلى أن قال :

« ثم دخل الناس في الاسلام أرسالاً ، من الرجال والنساء ،

حتى فشا ذكر الاسلام بمكة .. » !

اقول .. العملاق التاسع ، من عمالة النور ، من أئمة البشرية إلى

أن تقوم الساعة ..

كان .. أبا 'عبيدة بن الجراح

وهذا شرف عظيم ، يستفتح به أبو 'عبيدة ، حياته المباركة
الجليلة ..

رضي الله تعالى عنه

ابو عُبيدة ...

مهاجراً ...

الى الجنة؟!!

يروى

الرواة ، أن أبا عبيدة وُلِدَ في العام الاربعين قبل الهجرة .
أي أنه دخل الاسلام شاباً ، في السابعة والعشرين من عمره .
باعتبار أنه أسلم في السنة الأولى من البعثة النبوية الشريفة .
ويروي الرواة كذلك أنه توفي في السنة الثامنة عشرة
هجريّة .

اي وله من العمر ثمان وخمسون عاماً .

اي أن حياته في الاسلام كانت نحواً من ثلاثين عاماً .

أي أنّ أبا عبيدة عاصر الاسلام من أول لحظة من البعثة
الشريفة ، وغادر الدنيا إلى ربه ، في احسن فترة كانت في تاريخ
الاسلام كله ، فترة النبوة ، وخلافة ابي بكر ، وخلافة عمر .

ثلاثون عاماً او تزيد ، وأبو عبيدة يعايش احداث الاسلام
الأولى ، ويشترك في كل امر صغير او كبير ، يُوكل اليه ، في

اخلاص نادر !

اسلم ابو عبيدة ، سابقاً جميع المسلمين ، إلا هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوه إلى الاسلام .

فسجل له التاريخ ، فضلين ، فضل السبق ، وفضل الصُحبة ، التي تفوق كل فضل .

فهو صاحب رسول الله ، وهو اسبق اصحاب رسول الله ، إلا هؤلاء الثمانية .

وانتقل ابو عبيدة من الظلمات إلى النور .

وبدأ يشهد المشاهد كلها ، ساعة ساعة ، لا يفوته خير ما ، من التلقي من رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام :

« فلما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على ان يمنعمهم مما هم فيه من البلاء .

« قال لهم : لو خرجتم إلى ارض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه .

« فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة كانت في الاسلام . »

وجعل ابن هشام يعدّد أسماء من خرج مهاجراً ..

إلى ان قال :

« ومن بنى الحارث بن فهر .. »

« ابو عبيدة بن الجراح .. »

« وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هادل بن أمييب بن

سبية بن الحارث بن فهر .. »

إلى ان قال :

« فكان جميع من لحق بأرض الحبشة .. وهاجر اليها من

المسلمين .. ثلاثة وثمانين رجلاً .. »

هاجر ابو عبيدة إلى الحبشة ، وشهد المشهد الخالد امام

النجاشي ، حين دعاهم اليه فاجتمعوا عنده ، يسألهم عما زعمه

عمرو بن العاص بشأنهم .

فكيف كان ذلك ؟

قال ابن هشام :

• فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد امنوا واطمانوا بارض الحبشة ، وأنهم قد اصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي .

فيرداهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وآمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ، ثم بعثوهما اليه فيهم .

★

فقال ابو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ،
اياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم :

الا ليت شعري كيف في الناي جعفر

وعمرو واعداء العدو الأقارب

وهل نالت افعال النجاشي جعفرأ

واصحابه او عاق ذلك شاغب

تعلم ، ابيت اللعن ، انك ماجد
كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بان الله زادك بسطة
واسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة
ينال الأعادي نفعها والاقارب

★

قال ابن اسحاق :

حدثني محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام الخزومي ، عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة
زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا ارض الحبشة ،
جاورنا بها خير جار النجاشي ، امنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى
لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، اتتمروا
بينهم ان يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وان يهدوا
للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من اعجب ما
يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له ادماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتة

بطريقاً إلا اهدوا له هدية .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص ،
وامروهما بامرهم ، وقالوا لهما :

- ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ،
ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان
يكلمهم .

قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ،
عند خير جار ، ولم يبق من بطارفته بطريق إلا دفعا اليه هديته
قبل ان يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم :

- إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين
قومهم ، ولم يَدْخَوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن
ولا انتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم اشراف قومهم ليردهم اليهم ،
فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم ،
فإن قومهم اعلى بهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم .

فقالوا لهما : نعم .

ثم انهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما .

ثم كلماه فقالا له :

- ايها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا

دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آباءهم واعمامهم وعشائرتهم لتردهم اليهم ، فهم اعلى بهم عيناً ، واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شيء ابغض إلى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع كلامهم النجاشي .

قالت : فقالت بطارقتة حوله :

– صدقا ايها الملك ، قومهم اعلى بهم عيناً ، واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليها فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال :

– لاها الله ، إذن لا أسلمهم اليها ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم اليها ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منها ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

★

قالت : ثم ارسل إلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فدعاهم .

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون
للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا ، نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به
نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم
حوله ، سألهم فقال لهم :

– ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في
ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب .

فقال له :

– ايها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل
الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل
القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله اليينا رسولا
منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحيده
ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة
والأوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ،
وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ،

وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت : فعدد عليه امور الاسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك .

قالت : فقال له النجاشي :

- هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت : فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه علي .

قالت : فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته

. حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي :

- إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ،
انطلقا : فلا والله لا أسلمهم اليكما ، ولا يكادون .

★

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص :

- والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم .

قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا :

- لا نفعل ، فإن لهم ارحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا .

قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد .

قالت : ثم غدا عليه الغد فقال :

- ايها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ،

فأرسل اليهم فسلمهم عما يقولون فيه .

قالت : فأرسل اليهم ليسألهم عنه .

قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال

بعضهم لبعض :

— ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟
قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن .

قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم :

— ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟

قالت : فقال جعفر بن أبي طالب :

— نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها إلى مريم العذراء البتول .

قالت : فضرب التجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ،
ثم قال :

— وألله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود .

قالت : فتناخرت بطارقتة حوله حين قال ما قال .

فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بارضي — والشيوم :
الأمسون — من سبكم غرم .

ثم قال : من سبكم غرم .

ثم قال : من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني

أذيت رجلاً منكم .

قال ابن هشام :

– ويقال دبراً من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر ، الجبل –
ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني
الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في
فاطبيعهم فيه .

قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به ،
وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .



قالت : فوالله انا لعلّي ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه
في ملكه .

قالت : فوالله ما علمتنا حزناً حزناً قط ، كانت اشد من حزن
حزنه عند ذلك ، تخوفاً ان يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي
رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت : وسار اليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل :

قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

من رجل يخرج حتى يحضر وقبعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟

قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا .

قالوا : فانت ، وكان من أحدث القوم سناً .

قالت : فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى

خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم .

ثم انطلق حتى حضرهم .

قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين

له في بلاده .

قالت : فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير

وهو يسعى ، فامع بثوبه وهو يقول :

— ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، واهلك الله عدوه ، ويمكن

له في بلاده .

قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها .

قالت : ورجع النجاشي ، وقد اهلك الله عدوه ، ويمكن له في

بلاده ، واستوثق عليه امر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى

قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

ثم يقول ابن هشام :

« وبلغ اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. الذين خرجوا
إلى ارض الحبشة ، اسلام اهل مكة ..

فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ...

حتى إذا دنوا من مكة .. بلغهم ان ما كانوا يتحدثوا به من اسلام
اهل مكة كان باطلا ..

فلم يدخل منهم احد إلا بجوار او مستخفياً .

فكان ممن قدم عليه مكة منهم .. فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة
فشهد معه بدرأ .

ومن حيس عنه حتى فساته بدر وغيره ..

ومن مات بمكة ..

منهم عثمان بن عفان ..

معه امرأته رقية بنت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. «

وجعل ابن هشام يذكر اسماء من عادوا .

إلى ان قال :

« ومن بنى الحارث بن فهر .. »

« أبو عبيدة بن الجراح ..
« وهو عامر بن عبد الله بن الجراح .. »

ثم قال :

« فجميع من قدم عليه مكة من اصحابه .. من ارض الحبشة ..
ثلاثة وثلاثون رجلا .. »

اقول : وكان ابو عبيدة احد هؤلاء العظماء ..
والراجح عندي .. انه أخذ مكانه .. إلى جوار أحب الناس
اليه .. صلى الله عليه وسلم .. حتى كانت الهجرة ..
فكيف هاجر أبو عبيدة !؟

ابو عُبيدَة ...

مهاجراً ...

الى المدينة؟!

كيف كانت الهجرة ؟

فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وكذبوا نبيه ﷺ ، وعذبوا ، ونفوا ، من عبده ووحده وصدق نبيه ، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال .

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِن لِّلَّهِ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لِقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ . . ﴾

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب ، وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، وللحقوق

باخوانهم من الأنصار .

وقال :

« إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تامنّونَ بها » .

فخرجوا أرسالاً^(١) .

واقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

واجتمع أشرف قريش ، وغيرهم ممن لا يُعدّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به الموت .

ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع .

(١) طائفة بعد طائفة .

فقال ابو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ، ما اراكم
وقعتم عليه بعد .

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : ارى أن ناخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً
فيينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمَدُوا اليه ،
فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا
ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً .

فأتى جبريل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فقال : لا
تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت ظلمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام
فيشبون عليه .

فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب :

« نم على قراشي ، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحضرمي الاخضر ،
فتم فيه فانه ان يخلص اليك شيء تكرهه منهم ، » .

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام .

فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم انكم إن تابعتموه على أمره

لكنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم
نارا تحرقون فيها !

وخرج عليهم رسول الله ﷺ ، ثم قال :

« نعم انا اقول ذلك ، انت احدهم ، .. »

واخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلا يرونه .

فلما اجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى ابا بكر فخرجوا من
خوخة لابي بكر في ظهر بيته .

ثم عمدا إلى غارِ بثورِ جبلِ باسفل مكة ، فدخلوه .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار
ليلا .

فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ ، فلمس
الغار لينظر أفيه سبع أو حية ؟ يقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنفسه !

فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر .

وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم .

حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنها الناس اتاهما صاحبهما

الذي استأجراه ببيعيريهما ، وبعير له .

فركبا .. وانطلقا ..

واردف أبو بكر الصديق ، عامر بن فهيرة مولاة خلفه ، ليخداً متهما
في الطريق .

وكانوا أربعة : رسول الله .. وأبو بكر .. وعامر .. وعبد الله
ابن أرقط دليلهما .

فلما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على
الساحل حتى قدما المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع
الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل :
وكان بين خروجه من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه
أقام بغاراً ثور ثلاثة أيام .

ورسول الله ﷺ ، يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد
أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة .

وكان الطريق الذي سلكوه غير الطريق المألوفة وابتعد منها .

وصوله الى المدينة

وروي عن رجال من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

_ لما سمعنا مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، انتظرنا قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظره ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الجبال ، فإذا لم نجد ظلًا دخلنا ، وذلك في أيام حارة .

قالوا : حتى إذا كان اليوم الذي قدوم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فيه جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا .

وقدم رسول الله .. ﷺ .. حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود .

فصرخ اليهودي بأعلى صوته : هذا جدكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه ، واكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ

قبل ذلك .

وازدحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر .
حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فآظله
بردائه ، فعرفناه عند ذلك !

وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وإيامها ، حتى ادى
عن رسول الله ﷺ ، الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا
فرغ منها لحق برسول الله ﷺ .

بناء مسجد رسول الله

وبركت ناقة رسول الله ﷺ على موضع لغلامين يتيمين من
بني النجار .

فأمر به رسول الله ﷺ ان يبني مسجداً ، ونزل على أبي ايوب
حتى بني مسجده ومساكنه .

فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل
فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه .

ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي ايوب .

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو مجوس .

بدء التنظيم

وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وأدع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. »

« هذا كتاب من محمد النبي .. صلى الله عليه وسلم .. بين المؤمنين والمسلمين ، من قريش ويثرب ، ومن تبهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إني أمة واحدة من دون الناس .. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مردءه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم .. »

يؤاخي بين المهاجرين والانصار

آخى رسول الله ﷺ ، بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربية ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه من المهاجرين والانصار .

فقال :

« تأخّوا في الله اخوة اخوة ، .. »

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال :

« هذا اخي ، ا »

فكان رسول الله ، سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين !

وكان حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله ، وزيد بن حارثة مولى

رسول الله ، ﷺ ، اخوين .

وتلك هي الأخوة الصادقة ، التي تزول فيها الحواجز والطبقات .

كيف كان الاذان ؟

وقد كان رسول الله ، ﷺ ، حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة .

فهم رسول الله ﷺ ، حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود النبي يدعون به لصلاتهم .
ثم كرهه .

ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضربَ به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد النداء ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال له :

- يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرت بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبدالله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة .

قال : أفلا أدلُّكَ على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟
قال : تقول :

« الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا
إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ،
أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة ،
حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا
إله إلا الله .. »

فلما أخبر بها رسول الله ، ﷺ ، قال :

« إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن
بها ، فإنه اندى صوتاً منك ، .. »

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج
إلى رسول الله ، ﷺ ، وهو يجرد رداءه وهو يقول :

« يا نبي الله ، والذي بهمشك بالحق لقد رايت مثل الذي راى ، .. »

فقال رسول الله ﷺ :

« فله الحمد ، .. »

*

أقول :

هاجر أبو عبيدة إلى المدينة ، مع من هاجر إليها ..
وتزل على إحدى دور الانصار .. مع من نزل ..
وشهد استقبال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حين وصل
إلى المدينة ..

وشارك في الأحداث التي كانت تجري امام عينيه .

وشهد مشهد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ..

قال ابن اسحاق :

« وكان أبو بكر .. وخارجة بن زهير .. أخوين ..

« وعمر بن الخطاب .. وعتبان بن مالك .. أخوين ..

« وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح .. واسمه عامر بن عبد الله ..

وسعد بن معاذ .. أخوين .. » !!

قم يا ابا عبيدة بن الجراح ...

فاما قام ...

قال رسول الله ﷺ :

هذا امين هذه الامة ؟!

ندخل

الآن .. إلى مشهد خالد من مشاهد أبي عبيدة الخالدة ..

حين قال رسول الله .. ﷺ :

« لأُبْعَثَنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا .. آمِنًا .. حَقَّ آمِينَ .. »

« فاستشرفَ لهُ اصحابُ رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه

وسلم ..

« فقالَ : 'قُمْ يَا ابا ابي عبيدةَ بنَ الجراحِ .. »

« فلما قامَ .. »

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« هذا أمينُ هذهِ الأمةِ . »

[من حديث البخاري]

متى كان ذلك ؟!

اليك الأقصوصة .. كما ذكرها ابن هشام :

أمر السيد والعاقب وذكر المباهلة ؟!

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله ﷺ ، وفد نصارى نجران ، ستون
راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم
ثلاثة نفر اليهم يثول أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ،
وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه
عبد المسيح ، والسيد ، لهم ثماهم^(١) ، وصاحب رحلتهم ومجتمعهم ،
واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ،
أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدارسهم .

(١) ثماهم : أصلهم الذي يقصدون اليه .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه واخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلم يرجعوا إلى رسول الله ﷺ ، من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز ابن علقمة

قال ابن هشام :

ويقال كرز .

فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ . فقال له أبو حارثة : بل انت تعست ! فقال . ولم يا أخي ؟

قال ، والله انه النبي الذي كنا ننتظر . فقال له كوز ، ما يمنعك منه وانت تعلم هذا ؟ قال . ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد ابوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى .

فأضمر عليها منه اخوه كوز بن علقمة ، حتى اسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني .

قال ابن هشام .

وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم . فكلما مات رئيس منهم ، فأفصت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها .

فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعثر .

فقال له ابنه . تعس الأبعد ! يريد النبي ﷺ .

فقال له أبوه . لا تفعل ، فإنه نبي ، واسمه في الوضائع ، يعني الكتب .

فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد

فيها ذكر النبي ﷺ ، فاسلم فحسن إسلامه ورجح ..

قال ابن اسحاق :

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال :

... لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا

عليه ؑسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، جبب وأردية ،
في جمال ورجال بني الحارث بن كعب .

قال : يقول بعض من رأهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ :

– ما رأينا وقدأ مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد
رسول الله ﷺ يصلون .

فقال رسول الله ﷺ : دعوهم .
فصلوا إلى المشرق .

قال ابن إسحاق :

فكانت تسمية الأربعة عشر ، الذين يؤول اليهم أمرهم : العاقب ،
وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو
بني بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وفيس ، ويزيد ،
ونبيه ، وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويجنس ، في ستين
راكباً .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ،
والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد – وهم من النصرانية على دين

الملك^(١) ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون ، هو الله . ويقولون ، هو ولد الله . ويقولون ، هو ثالث ثلاثة .

وكذلك قول النصرانية . .

فهم يحتاجون في قولهم : « هو الله » .

بأنه كان يحيي الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى :

﴿ وانجمله آية الخامس ﴾ . .

ويحتاجون في قولهم « إنه ولد الله » .

بانهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم

(١) دين الملك ، اي ملكانية ، اي كاثوليك ويقولون : إن الآلهة

ثلاثة كل إله مستقل عن غيره ومنفصل عنه وهم : الآب - اي الله والابن - اي المسيح - والروح القدس .

ويقولون عن المسيح ايضاً . إنه ابن الله .

واما الذين يقولون : إن الله هو المسيح فهم اليهقوبية اي الارثوذكس

ويقولون عن المسيح ايضاً : انه ابن الله . ويقولون الله ظهر في

جسد المسيح عيسى . فإله نفسه هو المسيح - تعالى الله عما يقولون

علواً كبيراً

يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم « إنه ثالث ثلاثة »

بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم .

ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن - فلما كلمه الخبران : قال لهما رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : أسلمبا . قالوا : قد أسلمنا . قال . إنكما لم تسلمبا .

قالا . بلى ، قد أسلمنا قبلك . قال . كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصلب ، وأكلكما الخنزير . قالوا . فمن أبوه يا محمد ؟

فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها .

فقال جل وعز

﴿ ألم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ..

فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق

والأمر ، لا شريك له فيه ، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم .

فقال .

﴿ الم . الله لا إله إلا هو ﴾ ..

ليس معه غيره شريك في أمره

﴿ الحي القيوم ﴾ ..

الحي الذي لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب في قولهم .
والقيوم . القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ،
وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به ، وذهب عنه
إلى غيره .

﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ ..

اي بالصدق فيما اختلفوا فيه

﴿ وانزل التوراة والانجيل ﴾ ..

التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من
كان قبله .

﴿ وانزل الفرقان ﴾ ..

اي الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلفت فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره .

﴿ ان الذين كفروا بآيات الله ، لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام ﴾ ..

أي أن الله منتقم ممن كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها .

﴿ ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴾ ..

أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يظاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه إلهاً ورباً ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرة بالله ، وكفراً به .

﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ ..

اي قد كان عيسى ممن صور في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل .

ثم قال تعالى انزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ..

العزير في انتصاره من كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده .

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ﴾ ..

فهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تحريف ولا تحريف عما وضعن عليه .

﴿ وأخر متشابهات ﴾ ..

لهن تحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، الا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق .

يقول عز وجل

﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ ..

أي ميل عن الهدى

﴿ فيقتبعون ما تشابه منه ﴾ ..

أي ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة

﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ ..

أي اللبس .

﴿ وابتغاه تأويله ﴾ ..

ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم . خلقنا وقضينا . يقول

﴿ وما يعلم تأويله ﴾ ..

اي الذي به أرادوا ما ارادوا

﴿ إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند

ربنا ﴾ ..

فكيف يختلف وهو قول واحد : من رب واحد .

ثم ردوا تأويل التشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا
تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدق
بعضه بعضاً ، فنفذت به الحججة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل
ودمغ به الكفر .

يقول الله تعالى في مثل هذا

﴿ وما يذكر ﴾ ..

في مثل هذا

﴿ إلا اولوا الألباب ﴾ ..

﴿ ربنا لا نزع قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ ..

أي لا تمل قلوبنا ، وإن ملنا بأحداثنا .

﴿ وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ ..

ثم قال :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ﴾ ..

بخلاف ما قالوا

﴿ قائماً بالقسط ﴾ ..

أي بالعدل ..

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ..

أي ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسول .

﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ ..

أي الذي جاءك ، أي أن الله الواحد الذي ليس له شريك .

﴿ بغياً بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب .

﴿ فإن حاجوك ﴾ ..

أي بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا وإنما

هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق .

﴿ فقل اسلمت وجهي لله ﴾ ..

أي وحده .

﴿ ومن اتبعن ، وقل للمدين اوتوا الكتاب والامين ﴾ ..

الذين لا كتاب لهم .

﴿ ءأسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما عليك

البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ ..

* * *

ثم جمع اهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما احدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال :

﴿ إن الذين يكفرون بأيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ،

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ ..

إلى قوله

﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ ..

أي رب العباد ، والمملك الذي لا يقضي فيهم غيره .

﴿ توتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ،

وتذل من تشاء ، بيدك الخير ﴾ ..

أي لا إله غيرك

﴿ انك على كل شيء قدير ﴾ ..

اي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك .

﴿ تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي

من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ ..

بتلك القدرة

﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ ..

لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت .

أي فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون انه إله ، من احياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والاختبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقاً له في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه تملك الملوك بامر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، ورزق من شئت من بر او فاجر بغير حساب . فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، افلم تكن لهم في ذلك عبرة وبينة ! ان لو كان إلهاً كان ذلك كله اليه ، وهو في علمهم يهرب من الملوك ،

وينتقل منهم في البلاد ، من بلد إلى بلد .

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال

﴿ قل إن كنتم تحبون الله ﴾ ..

أي إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيماً له

﴿ فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ..

أي ما مضى من كفركم

﴿ والله غفور رحيم ، قل اطيعوا الله والرسول ﴾ ..

فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم

﴿ فان تولوا ﴾ ..

أي على كفرهم

﴿ فان الله لا يحب الكافرين ﴾ ..

ثم استقبل لهم امر عيسى وكيف كان بدء ما اراد الله به ، فقال
﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم ، وآل عمران على
العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ﴾ ..

ثم ذكر امر امرأة عمران ، وقولها

﴿ رب اني نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ ..

اي نذرته فجعلته عتيقا ، تعبده لله ، لا ينتفع به لشيء من
الدنيا

﴿ فتقبل مني انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت
رب اني وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت . وليس الذكر كالانثى ﴾ ..

اي ليس الذكر كالانثى لما جعلتها محررا لك نذيرة

﴿ واني سميتها مريم ، واني اعيلها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم ﴾ ..

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ فتقبلها ربا يقبول حسن ، وانيتها نبانا حسنا » وكفلها
زكريا ﴾ ..

بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام : كفلها . ضمها .

قال ابن اسحاق :

فذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به ، وما أعطاه إذ وهب له يحيى .

ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها :

﴿ يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ ..

يقول الله عز وجل

﴿ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم ﴾ ..

اي ما كنت معهم

﴿ اذ يلقون اقلامهم احم يكفل مريم ﴾ ..

قال ابن هشام :

اقلامهم : سهامهم ، يعني قداحهم التي استهموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضمها .

﴿ وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ..

أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها ، يخبره بخفي ما كتموا
منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما
اخفوا منه .

ثم قال

﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم ﴾ ..

أي هكذا كان امره ، لا كما تقولون فيه

﴿ وجيها في الدنيا والآخرة ﴾ ..

أي عند الله .

﴿ ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾ ..

يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عمره ، كتقلب بني آدم في
أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا ان الله خصه بالكلام في مهده آية
لنبوته ، وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته .

﴿ قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك

الله يخلق ما يشاء ﴾ ..

أي يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر او غير بشر .

﴿ إذا قضى امرأ فانما يقول له كن ﴾ ..

مما يشاء وكيف شاء .

﴿ فيكون ﴾ ..

كما اراد .

ثم اخبرها بما يريد به ، فقال

﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ﴾ ..

التي كانت فيهم من عهد موسى قبله

﴿ والانجيل ﴾ ..

كتابا آخر احده الله عز وجل اليه لم يكن عندهم إلا ذكره
أنه كائن من الأنبياء بعده .

﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل اني قد جنتكم بأية من ربكم ﴾ ..

اي يحقق بها نبوتي ، اني رسول منه اليكم .

﴿ اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون

طيراً باذن الله ﴾ ..

الذي بعثني اليكم ، وهو ربي وربكم .

﴿ وأبىء الأكمة والأبرص ﴾ ..

قال ابن هشام : الأكمة : الذي يولد أعمى .

﴿ وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لآية لكم ﴾ ..

اني رسول الله من الله اليكم

﴿ ان كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ ..

اي لما سبقني عنها .

﴿ ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ ..

أي اخبركم به انه كان عليكم حراماً فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تبعاته .

﴿ وجنتكم بأية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون ، ان الله ربي وربكم ﴾ ..

أي تبرياً من الذين يقولون فيه ، واحتجاجاً لربه عليهم .

﴿ فاعبئوه هذا صراط مستقيم ﴾ ..

اي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به .

﴿ فلما احس عيسى منهم الكفر ﴾ ..

والعدوان عليه .

﴿ قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله
امننا بالله ﴾ ..

هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربههم

﴿ واشهد بأننا مسلمون ﴾ ..

ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه

﴿ ربنا آمننا بما أتزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ..

أي هكذا كان قولهم وإيمانهم .

ثم ذكر رفعه عيسى اليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال

﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ ..

ثم اخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه
وطهره منهم ، فقال

﴿ اذ قال الله يا عيسى افي متوفيك ورافعك اليّ ، ومطهرك

من الدين كفروا ﴾ ..

إذ هموا منك بما هموا

﴿ وجاعل الدين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ﴾ ..

ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله :

﴿ ذلك نتلوه عليك ﴾ يا محمد ﴿ من الآيات والذكر الحكيم ﴾ ..

القاطع الفاصل الحق ، الذي لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعمما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره .

﴿ ان مثل عيسى عند الله ﴾ فاستمع ﴿ كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك ﴾ ..

أي ما جاءك من الخبر عن عيسى

﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ ..

اي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه .

وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير انثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودماً ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر باعجب من هذا .

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ ..

اي من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره .

﴿ فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ، ونساءنا ونساءكم وانفسنا

وانفسكم ، ثم نبتهل فتجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ..

قال ابن هشام

قال ابو عبيدة . نبتهل : ندعو باللغنة .

ونبتهل ايضاً : نجتهد ، في الدعاء .

قال ابن اسحاق

﴿ ان هذا ﴾ ..

الذي جئت به من الخبر عن عيسى

﴿ فهو القمص الحق ﴾ من امره ﴿ وما من اله الا الله ، وان
الله هو العزيز الحكيم . فان تولوا ، فان الله عليهم بالفسدين . قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ،
ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ؛
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ ..

فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحججة .

فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ،
والانصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما امر به من ملاحظتهم
إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له . يا أبا القاسم ،

دعنا ننظر في امرنا ، ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه .
فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا .
يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟

فقال . والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمداً لنبى مرسل ،
ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً
قط فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن
فعلتم ، فان كنتم قد ايتم الالف دينكم ، والاقامة على ما اتم عليه
من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا .

يا ابا القاسم ، قد رأينا الا نلاعنك ، وان نتركك على دينك
ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك ترضاه
لنا ، يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم
عندنا رضا .

* * *

قال محمد بن جعفر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

- اتتوني العشية ابعث معكم القوي الامين .

قال : فكان عمر بن الخطاب يقول . ما أحببت الامارة قط
حيي لياها يومئذ ، رجاء ان اكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر
مهجرآ ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر
سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره .

فجعلت اتناول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى
أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال

- اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

قال عمر

- فذهب بها أبو عبيدة .

رواية البخاري

قصة اهل نجران ؟

اي هذا بيان قصة اهل نجران ..

وهو بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن ..
يشتمل على ثلاث وسبعين قرية .. وكان نجران منزلاً للنصارى ..
وكان أهله أهل الكتاب .

عن حذيفة قال :

« جاء العاقبُ والسَّيِّدُ .. صاحبَا نجران ..

« إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« يُريدَانِ أَنْ يُبَلِّغَاهُ ..

« فقالَ أَحَدُهُمَا لصاحبه : لا تَفْعَلْ .. فوالله لئن كان

نبيًّا فلابغاهُ لا نُفْلِحُ نحنُ ولا عَقِبُنَا مِن بَعْدِنَا ..

« قالَا : إنا نُعْطِيكَ ما سألْتنا .. وابتعثْ مَعْنَا رُجُلًا أَمِينًا ..

ولا تَبِعْتُ مَعْنَا إِلَّا أَمِينًا ..

« فَقَالَ : لِأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رُجُلًا أَمِينًا حَقًّا أَمِينًا ..

« فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

« فَقَالَ : قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ ..

« فَلَمَّا قَامَ .

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

« هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ . »

(جاء العاقب) واسمه عبد المسيح ..

(والسيد) واسمه الأيهم ..

« وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. كَتَبَ إِلَى أَهْلِ

نَجْرَانَ .. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَفَدَّمَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ .. فِيهِمْ

العاقب .. وَفِيهِمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُمْ ..

« العاقب أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه ..

« وَأَبُو الْحَارِثِ اسْقَفَهُمْ وَحَبَّرَهُمْ وَإِمَامَهُمْ وَصَاحِبَ مَدَارِسِهِمْ ..

« وَالسَّيِّدُ وَهُوَ صَاحِبُ رِحَالِهِمْ ..

« فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْخَبْرَةِ .. وَأَرْدِيَةٌ مَكْفُوفَةٌ بِالْحَرِيرِ

فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق ..

« فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : دعوهم ..

« ثم أتوا النبي .. ﷺ .. فأعرض عنهم ولم يكلمهم ..

« فقال لهم عثمان : ذلك من أجل زيكم ..

« فانصرفوا يومهم .. ثم غدوا عليه بزي الرهبان ..

« فساموا .. فردّ عليهم .. ودعاهم إلى الاسلام ..

« فابوا .. وكثر الكلام واللجاج ..

« وتلا عليهم القرآن ..

« وقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : إن انكرتم ما أقول

لكم فهلم باهلكم ..

« فانصرفوا على ذلك ..

« يريدان ان يلاعناه » اي يباهلاه من الملاعنة وهي المباهلة ..

والمباهلة أن يجتمع قوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله

على الظالم ..

« إنا نعطيك ما سألتنا » فصالحهم على الفي حلة في رجب ..

والف في صفر .. أو قيمة ذلك من الاواق .. وعلى عارية ثلاثين

درعاً .. وثلاثين بعيراً .. وثلاثين فرساً .. إن كان باليمن كيد ..

ولنجران وحباشيتهم جوار الله .. وذمة محمد النبي ﷺ .. على
أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم غائبهم وشاهدهم وبيعهم .. لا يغير
أسقف عن سقيفاه .. ولا راهب عن رهبانيتها .. ولا واقف عن
وقفانيتها .. واشهد على ذلك شهوداً ..

« فرجعوا إلى بلادهم .. »

« فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً .. حتى رجعا إلى النبي ﷺ .. فأسلما .. »

« فاستشرف ، ترقبوا . كل منهم يأمل أن يكون هو
المبعوث إليهم »

« وتوجه أبو عبيدة معهم فقبض مال الصلح ورجع . »



اقول :

هذه قصة وفد نجران .. التي انتهت ببيع ابني عبيدة معهم ..

متوجاً باغلى تاج يوضع على رأس عظيم من العظماء :

« لأبعثن معكم .. رجلاً اميناً .. حقّ أمين .. »

« فاستشرفَ لهُ اصحابُ رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

» فقال : « قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ .

» فَلَمَّا قَامَ ..

» قال رسول الله .. ﷺ :

« هذا ..

» آمينُ .

« هَذِهِ الْأُمَّةُ . » !!

هل قتل أبو عبيدة ...

أباه المشرك ...

يوم بدر ؟ !

شم

كانت الغزوة العظمى .. غزوة بدر الكبرى ..
وأخبارها مستفيضة مشهورة ..
وأبلى أبو عبيدة فيها بلاءً حسناً ..
فهو رجل شهد بدرًا !!

قال ابن هشام .. وهو يذكر « من حضر بدرًا من
المسلمين » :

« ومن بني الحارث بن فهر ..

« أبو عبيدة بن الجراح ..

« فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين .. ثلاثة وثمانون

رجلاً .. »

هذه واقعة معارمة .. إلا أن الواقعة الكبرى بالنسبة إلى أبي

عبيدة .. ليست هي شهوده غزوة بدر ..

وإنما موقفه العجيب من أبيه المشرك .. الذي جاء في صفوف
المشركين .. يقاتل المسلمين في عناد شديد !!

فما هو هذا الموقف .. وماذا كان من أبي 'عبيدة' !؟

قال تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ

﴿ وَكَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ

﴿ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

﴿ وَوَدَّخَلَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

﴿ أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ

« أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمَفْلِحُونَ . »

[المجادلة ٢٢]

« لا تجدُ قوماً يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُؤادُّونَ مَنْ
حادَّ اللهَ ورسولَهُ ، » خطاب للنبي .. صلى الله عليه وسلم .. أو
لكل أحد يصلح للخطاب ..

أي لا ينبغي أن يكون ذلك .. وحقه أن يمتنع ولا يوجد
بجال .. مبالغة في النهي عنه .. والزجر عن ملابسته .. والتصلب
في مجانبة أعداء الله تعالى ..

والمراد بموادة المحادِّين موالاتهم ومظاهرتهم ..

و (مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ظاهر في الكافر .. وبعض الآثار
ظاهر في شموله للفاسق .. والأخبار صريحة بالنهي عن موالاته الفاسقين
كالمشركين ..

بل قال سفيان :

يرون أن الآية المذكورة نزلت فيمن يخالط السلطان ..

وفي حديث طويل أخرجه الطبراني ، والحاكم ، والترمذي ، عن

واثلة بن الأسقع مرفوعاً :

« يقول الله تبارك وتعالى :

« وعزتي لا ينال رحمتي .. من لم يوال أوليائي .. ويعاد أعدائي . »

وأخرج أحمد ، وغيره ، عن البراء بن عازب ، مرفوعاً

« أوثق الإيمان .. الحب في الله .. والبغض في الله .

وأخرج الديلمي ، من طريق الحسن ، عن معاذ قال :

« قال رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم :

« اللهم لا تجعل لفاجر - وفي رواية - ولا لفاسق عليّ نيداً ولا

نعمة .. فيودّه قلبي .. فإني وجدت فيما أوحيت إليّ

﴿ لا تجدُ قومًا يُؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُواذونَ مَنْ

حادّ اللهَ ورسولَهُ ﴾ .

« وَآلَوْ كُنُوا ، أَي مِنْ حَادِّ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ ..

« آباءهم » أي الموادين ..

« أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم »

فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يحشر المرء فيه

مع من أحب .. ان يهجروا الجميع بالمرّة ..

وليس المراد بمن ذكر خصوصهم .. وإنما المراد الاقارب مطلقاً ،
وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا
بالمعروف .. وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم .. وثلث
بالإخوان لأنهم الناصرون لهم .. وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم
والتناصر بهم ..

« اولئك » إشارة إلى الذين لا يوادونهم .. وإن كانوا أقرب
الناس إليهم .. وامسهم رحماً بهم .. وما فيه من معنى البعد لرفعة
درجتهم في الفضل ..

« كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ » أي اثبتته الله تعالى فيها ..

« وَأَيَّدَهُمْ » أي قوّاهم ..

« بَرُّوحٍ مِنْهُ » أي من عنده عز وجلّ .. والمراد بالروح نور
القلب .. وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده ..
تحصل به الطمانينة .. والعروج على معارج التحقيق ..

« وَيُدْخِلُهُمْ » بيان لآثار رحمته تعالى الأخروية .. إثر بيان
الطافه سبحانه الدنيوية ..

« جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا » أبد
الآبدین ..

« رَضِيََ اللهُ عَنْهُمْ » استئناف جار مجرى التعليل .. لما أفاض سبحانه عليهم من آثار رحمته عزّ وجلّ العاجلة والآجلة ..
« وَرَضُوا عَنْهُ » بيان لابتهاجمهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً ..
« أولئك حزبُ اللهِ » تشریف لهم .. ببيان اختصاصهم به تعالى ..

« أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .. »

بيان لاختصاصهم بسعادة الدارين ..

« والآية قيل :

« نزلت في أبي بكر .. رضي الله تعالى عنه .. »

« اخرج ابن المنذر .. عن ابن جريج قال :

« حدثت أن أبا قحافة سبّ النبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم فصكه أبو بكر صكّة .. فسقط .. فذكر ذلك للنبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. فقال : أفعلت يا أبا بكر ؟ قال : نعم .. قال : لا تعد .. قال : والله لو كان السيف قريباً مني لضربت به .. وفي رواية - لقتلته .. فنزلت (لا تجدُ قوماً) الآيات .

« وقيل :

« في ابي عبيدة بن عبد الله بن الجراح ..

« أخرج ابن ابي حاتم .. والطبراني .. وأبو نعيم في الحلية ..
والبيهقي في سننه ..

« عن ابن عباس .. عن عبد الله بن شاذب قال :

« جعل والد ابي عبيدة يتصدى له يوم بدر ..

« وجعل ابو عبيدة .. يحيد عنه ..

« فلما اكثر .. قصده ابو عبيدة .. فقتله ..

« فنزلت (لا تجد) الخ ..

« وفي الكشاف .. أن ابا عبيدة قتل اياه .. عبد الله بن الجراح ..
يوم أحد ..

« والحق انه قتله في بدر ..

« اخرج البخاري .. ومسلم .. عن أنس قال

« كان - اي ابو عبيدة - قتل اياه .. وهو من جملة اسارى

بدر .. بيده .. لما سمع منه في رسول الله .. صلى الله تعالى عليه

وسلم .. ما يكره .. ونهاه .. فلم ينته ..

« وقيل انزلت فيه .. حيث قتل اباہ .. »

« وفي أبي بكر .. »

« دعا ابنه يوم بدر إلى البراز .. وقال لرسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم : دعني اكون في الرعدة الاولى - وهي القطعة من الخيل - »

« قال : متعنا بنفسك يا ابا بكر ما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري » .. »

« وفي مصعب بن عمير .. قتل اخاه عميد بن عمير يوم أحد .. »

« وفي عمر .. قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر .. »

« وفي عليّ .. كرّم الله تعالى وجهه .. وحمزة .. وعبيدة ابن الحرث .. قتلوا عتبة .. وشيبة .. ابني ربيعة .. والوليد ابن عتبة يوم بدر .. »

« هذا ورتب بعض المفسرين :

﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ اَوْ ابْنَاءَهُمْ اَوْ اِخْوَانَهُمْ اَوْ

عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .. »

« على قصة ابي عبيدة .. »

« وأبي بكر .. »

« ومصعب ..

« وعليّ - كرم الله تعالى وجهه - ومن معه ..

« وأياً ما كان .. فحكم الآيات عام .. وإن نزلت في أناس

مخصوصين .. كما لا يخفى .. والله تعالى اعلم . »

ثبت الآن أن أبا عبيدة .. قتل اباه .. عبدالله بن الجراح .. في

غزوة بدر ..

وها هنا سؤال خطير : كيف يقتل أبو عبيدة .. أباه .. وأبو

عبيدة يعلم أن برّ الوالدين يمنع من ذلك !؟

الجواب .. أن برّ الوالدين واجب على الأبناء .. ما كان الإباء

غير محاربين لله ورسوله .. فإذا ما جاء أبوه محارباً لله ورسوله في

غزوة بدر .. مضاداً لله ورسوله .. يريد أن يستأصل هذا الدين من

جذوره .. فإن برّ الوالدين هنا .. يسقط عن الأبناء .. ويحل محله

قانون أعلى منه هو :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إخوانهم أو عشيرتهم .. ﴿ !!

ذلك أن القانون الأعلى ينسخ القانون الأدنى ..

فالقانون الأدنى هو برُّ الوالدين .. وهذه مصلحة خاصة ..

والقانون الأعلى . هو انتصار الإسلام .. وهذه مصلحة عامة ..

توجب نسخ القانون الأدنى ..

ومن هنا أثنى الوحي الكريم .. على صنيع أبي عبيدة .. حين

قتل أباه في غزوة بدر ..

« أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

« وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

« وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا ..

« رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ..

« أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ..

« أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . » !!

وهذه الأكليل من الثناء .. استحقتها كلها أبو عبيدة .. لأنه

صنع ما لم يصنعه أحد ..

ابنُ بارِ بابه .. أحسنَ البرِّ ..
لما رأى أباه .. يضادَّ ويحدِّد .. الله ورسوله .. ويقسائل في
صفوف المشركين .. مُصرّاً على كُفْرِهِ وعنادِهِ ..
قتله .. لأنه عدوٌّ لله ورسوله ..
فأثبت أبو عبيدَةَ بصنيعه ذلك .. أنه حقاً وصدقاً .. كما قال
فيه .. رسول الله .. ﷺ :
« اميناً .. حَقٌّ .. امين ، ۱۱

أبو عبيدة ..

في غزوة ..

أحمد !؟

نحن

في يوم السبت .. للنصف من شوال .. من السنة الثالثة من
الهجرة ..

حيث كانت غزوة أحد ..

التي اتتصر فيها المسلمون .. ثم كانت الهزيمة حين عصى البعض
أمر رسول الله .. ﷺ ..

فكيف سارت أحداث تلك الغزوة !؟

لماذا كانت المعركة ؟

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع
المنهزمون منهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ..

مشى رجال من قريش من أصيب آبؤهم وإخوانهم
يوم بدر .

فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من
قريش تجارة ، فقالوا :

- يا معشر قريش ، إن محمداً قد جعل لكم عنده ثاراً ، وقتل
خياركم ، فاعينونا بهذا المال على حربيه ، فلعلنا ندرك منه ثارنا بمن
أصاب منه ، ففعلوا .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ، وأصحاب العير
بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

ودعا: جنير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشيُّ يقذف
بجربة له قذف الحبشة ، فلما يخطيء بها فقال له :

- أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد . فانت
عتيق .

فخرجت قريش بجدها وجدّها وحديدها وأحابيشها ، ومن
تابعها من بني كنانة وأهل تهامة .

وخرجوا معهم بالنساء التماس الأنفة والغضب ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند ابنة
عتبة .

وكانت هند كلما مرّت بوحشي أو مر بها قالت : وَيَّهَا أبا
دسمة ، اشف واشتف .
فأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة .

يستشير الشعب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان اقاموا
اقاموا بشر مقام وان هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها ، ..
وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ،
يكبره الخروج .

وينزل على رأي الشعب !

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء
القوم ، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس درعه ، وذلك يوم

الجمعة حين فرغ من الصلاة .

فلما خرج عليهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم قالوا :

- يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ؟ فان شئت فاقعد

صلى الله عليك .

فقال رسول الله ﷺ :

« ما ينبغي لشيء إذا لبس لأمته (١) ان يضعها حتى يتأتل ، .. »

الخروج للمعركة

فخرج رسول الله ﷺ في الف من أصحابه .

حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ - بين المدينة وأحد - انخزل عنه

عبد الله بن أبي بن سلول بثُثُ الناس .

وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل انفسنا ها هنا

أيها الناس !؟

(١) لأمته : درعه .

ومضى رسول الله . صلى الله عليه وسلم .. حتى نزل
الشَّعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره
وعسكره إلى أحد .

وتعبي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. للقتال ، وهو في
سبعمائة رجل ، وأمر على الرماة عبدالله بن جبير ، وهو معلم يومئذ
بشباب بيض ، والرماة خمسون رجلاً .

فقال : « انضح^(١) الخيلَ عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن
كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك ، لا 'فوتين' من قبلك ، .

وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد
قادوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها
عكرمة بن أبي جهل .

(١) انضح : ادفعهم عنا .

اللقاء ..

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضررن بها خلف الرجال ، يُجرّضنهم .

فقال هند فيما تقول :

ويأبني عبد الدار ، ويها حمة الأدبار ، ضرباً بكلّ بئار .

وتقول :

إن تقبلوا نعاتق^(١) ونفرش^(٢) النبارق

أو تدبروا^(٣) تفارق فراق غير وامق

وكان شعار أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

(١) النبارق ، جمع غمرة ، وهي الوسادة الصغيرة .

(٢) الوامق : المحب .

يوم أحد

د اميت .. اميت ..

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب .

مصراع حمزة !

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أبطالاً .

قال وحشي : والله إني لأنظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ..
وهزرت حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في
ثَنَّتْه ، حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ،
وأمهله حتى إذا مات ، جئت ، فأخذت حربتي ثم تنحيتُ إلى
العسكر ، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره .

فلما قتل مُصْعَبُ بنُ عَمِيرٍ أعطى رسول الله .. ﷺ .. اللواء
عليّ بن أبي طالب .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فقتلواهم
بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .
فلما رأى رماة رسول الله ﷺ ، أن قد انكشف القوم ،

وانهزموا ، وأن المسلمين عكفوا على الغنائم ، تركوا أماكنهم ، وخلوا
ظهور المسلمين للخيل ، فأتوا من خلفهم ، وصرخ صارخ :
- ألا إن محمداً قد قتل .

فرجع المسلمون ، ورجع عليهم المشركون .
وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص .
خَلَصَ العدو إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فرُمي
بالحجارة ، حتى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته ، وشجّ في وجهه ،
وجرحت شفته ، وجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم ،
وهو يقول :

« كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ »

فأنزل الله عز وجل في ذلك :

﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يهدّهم
فإنهم ظالمون ﴾ ..

وقال رسول الله ﷺ - حين غشيه القوم - :

« من رجل بشري لنا نفسه ؟ » .

فقام خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ ، رجلاً

ثم رجلاً .. يقتلون دونه ..

ثم رحعت فئة من المسلمين ، فازالوهم عنه .

المرأة تقاتل دون رسول الله !

قالت أمُّ عُمارة : خرجت أول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ، ومعني سقاء فيد ماء .

فانتهيت إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهو في أصحابه ، والغلبة والنصر للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انخزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقمت أبشر القتال ، وأذبتُ عنه بالسيف ، وأرُمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلي .

قالت : لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ ، أقبل رجل يقول :

– دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا .

فاعترضت له أنا ، ومُصعبُ بن عمير ، وأناس من ثبت مع

رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة

(كان على عاتقها جرح اجوف له غور) .

فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه
درعان .

اروع امثلة القداية

وترسّ دون رسول الله ﷺ أبو دجاجة بنفسه ، يقع النبيل في
ظهره ، وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كثرَ فيه النبيل .
ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ينساوله النبيل ،
وهو يقول :

« ارم فداك ابي وامى » ..

ماذا تصنعون بالحياة بعده؟!؟

. وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد القوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟

قالوا : قتل رسول الله ﷺ .

قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ .

ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

عن أنس بن مالك قال :

— لقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنايه !!

هذا رسول الله

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس
قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك .

قال كعب :

عَرَفْتُ عَيْنِيهِ الشَّرِيفَتَيْنِ تَزْهَرَانِ^(١) مِنْ تَحْتِ الْمَغْفَرِ فَنَادَيْتِ
بِأَعْلَى صَوْتِي :

-- يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ..

فأشار إليّ رسول الله ﷺ أن :

• انصتوا •

فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم

(١) تضيئان .

نحو الشَّعْبِ : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي
ابن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان
الله عليهم ، ورهطٌ من المسلمين .

ابن محمد ؟

فأما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف ،
وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجوتَ .

فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟
فقال رسول الله ﷺ :

، دَعْوَةٌ ، .

فلما دنا منه ، تناول رسول الله ﷺ الحربةَ ، ثم استقبله
فطعنه في عنقه طعنةً مال منها عن فرسه مراراً .

فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به إلى مكة .

فبينما رسول الله ﷺ بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ
علت عاليةً من قريش الجبل .

كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

فقال رسول الله ﷺ :

« اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعاونوا » . .

فقاتل عمر بن الخطاب ، ورهط معه من المهاجرين ، حتى
اهبطوهم من الجبل .

وصلى النبي ﷺ الظهر يوم أحد قاعداً ، من الجراح التي
أصابتها ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

هند تمثل بحمزة ؟

ووقعت هند بنت عُتَبة ، والنسوة اللاتي معها ، يُمَثَلْنَ بالقتلى
من أصحاب رسول الله ﷺ : يقطعن الاذان والأنف ، حتى اتخذت
هند من آذان الرجال وآنفهم خلاخيل وقلائد !

وأعطت هند خلاخيلها ، وقلائدها ، وقرّطتها وحشياً - قاتل
حمزة - وشقت عن كبد حمزة فمضغتها ، فلم تستطع أن تبلعها ،
فلفظتها !!

ثم علت على صخرة مُشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي
شَفَيْتَ وَحْشِي غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيَّ عَلِيَّ عُمَرِي
حَتَّى تَرِمَ^(١) أَعْظَمِي فِي قَبْرِي

انتهاء المعركة

وانصرف أبو سفيان ومن معه ونادى : إن موعدكم بدر للعام
القابل ..

فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه :

« قل نعم .. هو بيننا وبينك موعد .. »

(١) روم : تنفقت .

لن اصاب بمثلك ابداً ..

وخرج رسول الله ﷺ ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقرَ بطنه عن كبده ومثله به فقطع أنفه وأذناه .

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال :

« ان اصاب بمثلك ابداً ، - - - وقتت مَوْقِفًا قَطَطًا اغيظ اليّ

من هذا ، ..

ادفونهم حيث صرعوا

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنواهم بها .

ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال :

« ادفنواهم حيث صرعوا ، ..

وكانوا يدفنون الاثنيين والثلاثة في القبر الواحد !

فما فعل رسول الله ؟

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بأحد .

فلما نعوها لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .

قالت : أرونيه حتى أنظر اليه .

فاشير لها اليه .

حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك صغيرة !

لم تفكر في قتلها ، وإنما فكرت في صاحب الرسالة !

وهكذا كانوا .. ومن هنا خلدوا في الأرض ، وخلدوا في

ارهاب العدو

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال ، من السنة الثالثة من الهجرة .

فلما كان الغد من يوم الأحد ، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا حضر يومنا بالأمس .

وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

فخرج رسول الله ﷺ ، حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثني عشر والثلاثاء والاربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

هذا وجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ، ﷺ ، من المهاجرين والأنصار في غزوة أحد ، سبعون رجلاً .

وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً ..

*

والآن : أين أبو عبيدة بن الجراح .. في أحداث تلك الغزوة !؟

الجواب .. شهد أحداثها من أولها إلى آخرها ..

شهد النصر ..

ثم شهد الهزيمة ..

وكان له مشهد خالد .. حين تازمت الأمور .. وُجرح

رسول الله .. ﷺ ..

فما هو هذا المشهد !؟

قال ابن كثير في تفسيره

« قال أبو داود الطيالسي :

« حدثنا ابن المبارك .. عن إسحاق بن يحيى بن طلحة

ابن عبيد الله ..

« اخبرني عيسى بن طلحة ..

« عن أم المؤمنين .. رضي الله عنها .. قالت :

« كان أبو بكر اذا ذكر يوم أُحُد قال :

« ذاك يوم كله لطلحة ..

« ثم انشا يحدث قال :

« كنت أول من فاء يوم أُحُد ..

« فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله .. ﷺ .. دونه ..

وأراه ..

« قال : حمية ..

« فقلت : كن طلحة .. حيث فاتني مسا فاتني ..

« فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إلي .. وبينني وبين

المشركين رجل لا أعرفه .. وانا اقرب إلى رسول الله .. ﷺ ..

منه ..

« وهو يخطف المشي خطفاً .. لا اعرفه ..

« فاذا هو .. أبو 'عبيدَةَ بن الجراح ..

« فانتسيت إلى رسول الله .. ﷺ .. وقد كسرت رباعيته ..
وشج في وجهه ..

« وقد دخل في وجنته حلقتان .. من حلق المغفر ..

« فقال رسول الله ، ﷺ :

« عليكما صاحبكما ..

يريد طلحة ..

« وقد نرف ..

« فلم نلتفت إلى قوله ..

« قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ..

« فقال ابو عبيدة :

« اقسمت عليك بحقي .. لما تركتني ؟

« فتركته ..

« فكره ان يتناولها بيده .. فيؤذي رسول الله .. صلى الله

عليه وسلم ..

« فآزم عليها بنيه .. فاستخرج إحدى الحلقتين ..

« ووقعت ثنيتته مع الحلقة ..

« وذهبت لأصنع ما صنع ..
« فقال : اقسمت عليك بحقي لما تركتني ؟
« قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى ..
« ووقعت ثنيته الاخرى .. مع الحلقة ..
« فكان أبو عبيدة .. من احسن الناس هتماً ..
« فاصلحنا من شان رسول الله ، ﷺ ..
« ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار .. فإذا به بضع وسبعون
أو اقل او اكثر .. من طعنة ورمية وضربة ..
« وإذا قد قطعت أصبعه .. فاصلحنا من شأنه . !!

★

« ورواه الهيثم بن كليب .. والطبراني ..
« وعند الهيثم : قال أبو عبيدة :
انشدك الله يا ابا بكر .. ألا تركتني ؟
« فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه .. فجعل ينضنضه .. كراهية
أن يؤذي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« ثم امتل السهم بفيه .. فبدرت ثنية ابي عبيدة .. » !!

*

وفي رواية ابن هشام :

« عن عائشة .. عن ابي بكر الصديق :

« أن ابا عبيدة بن الجراح ..

« نزع إحدى الحلقتين .. من وجه رسول الله .. صلى الله

عليه وسلم ..

« فسقطت ثنيته ..

« ثم نزع الأخرى .. فسقطت ثنيته الأخرى ..

« فكان ساقط الثنيتين . » !!

*

اقول .. هذا هو امين الأمة .. حق . أمين !!

وأي امانة هي اعظم .. من امانة رجل .. يُقسِم على أني

بكر .. ان يتركه .. ليقوم هو بنزع حلقتي المغفر من وجه
رسول الله .. ﷺ ..

ثم هو يكره أن ينزعها بيده .. فيؤذي .. رسول الله ..
ﷺ !!

فيباشر ذلك بفمه ..

فتقع ثنيتيه مع الحلقة الأولى ..

ثم يباشر نزع الأخرى بفمه .. فتقع ثنيتيه الأخرى !!

وهو سعيد .. أتمّ السعادة !!

وما قيمة ثنيتين تسقطان من أسنانه .. في سبيل ان لا يمس

رسول الله .. ﷺ .. شيء يؤذيه !!

ذلكم أبو عبيدة !!

وذلكم مشهد من مشاهده في غزوة أحد !!

« وليكلّ أمة أمينٌ .. »

« وامينُ هذه الأمةِ .. »

« أبو عبيدة بنُ الجراح ، .. »

ابو عبيدة ...

يوم ...

فتح مكة!؟

كان

فتح مكة ..

لعشر ليال بقين من شهر رمضان ..

سنة ثمان من الهجرة ..

فكيف كان ذلك الفتح الأكبر ؟

وما هو دور أبي عبيدة .. يوم فتح مكة ؟

اسباب فتح مكة

ثم اقام رسول الله ﷺ ، بعد بعثه إلى مؤتة جمادي الآخرة
ورجبا .

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ ،
وبين قريش ، كان فيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب ان
يدخل في عقد رسول الله ، ﷺ ، وعهده فليدخل فيسه ، ومن
أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم ، فليدخل فيه ، فدخلت
بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله
ﷺ وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو بكر من خزاعة ، وارانوا أن
يصيبوا منهم ثأراً .

واعتدت بنو بكر على خزاعة وقتلتها ، وقتل من قريش من
قاتل مع بني بكر !

ثم خرج نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ،
المدينة .

فاخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ،
تم انصرفوا راجعين إلى مكة .

ابو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فدخل على ابنته ام حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ ، طوته عنه !
فقال : يا بُنية ، ما أدري ارغبت بي عن هذا الفراش ، ام رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
وأنت رجل مشرك نجس ، فلم احب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ !

قال : والله لقد أصابك يا بُنية بعدي شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ .. فكلمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه ان يكلم رسول الله ﷺ فقال :
ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلمه ، فقال :

- أنا أشفع لكم إلى رسول الله .. ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله .. ﷺ .. وعندها حسن بن علي يدب بين يديها فقال :

- يا علي إنك أمس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !

فقال : ويحك يا أبا سفيان !! والله لقد عزم رسول الله ﷺ ، على أمر ، ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجـير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بني ذاك ان يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله .. ﷺ .

قال : يا ابا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فأنصحني .

قال : والله ما اعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فاجرُ بين الناس ، ثم الحق بارضك .

قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟

قال : لا والله ما أظنه ، ولكني لا اجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني آجرتُ بين الناس .

ثم ركب بعيره ، فانطلق .

ولما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً ، فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئاً ، ثم جئت ابن أبي فحافة فلم اجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم اتيت علياً فوجدته الين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا ؟

قالوا : ويم امرك ؟

قال : امرني ان اجير بين الناس ، ففعلت .

قالوا : فهل اجاز ذلك محمد ؟

قال : لا .

قالوا : ويلك ! . والله إن زاد الرجل على ان لعب بك ، فما

يغنى عنك ما قلت ؟

قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

الامر بالتعبئة

وأمر رسول الله ، ﷺ .. الناس بالتعبئة ، وأمر اهله أن
يجهزوه .

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك
بعض جهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بنية أمركم رسول الله
ﷺ أن تجهزوه ؟

قالت : نعم ، فتجهز .

قال : فإين ترينه يريد ؟

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. أعلم الناس أنه
سائر إلى مكة .

وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال :

« اللهم خذ العيون والايدي عن قريش حتى نبقيتها في بلادها ، .

فتجهز الناس ..

كتاب الى قريش

لما اجمع رسول الله .. ﷺ .. المسير إلى مكة ، كتب حاطب
ابن ابي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله
ﷺ من الأمر في السير اليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها اجرا ، على ان تبلغه قريشاً .

فجعلته في رأسها ..

ثم قتلت عليه قرونها .

ثم خرجت به .

وأتى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما

صنع حاطب .

فبعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ، فقال :

« ادركا امرأة قد كتب معها حاطب بن ابي بلتعة بكتاب الى
قريش ، يحذرهم ما قد اجمعنا له في امرهم ، .. »

فخرجوا حتى ادركاها .. فاستنزلاها ، فالتمسا في رحلها فلم
يجدا شيئاً .

فقال لها علي بن ابي طالب :

– إني احلف بالله ما كذب رسول الله .. ﷺ .. ولا كذبنا ،
وانتخرجن لنا هذا الكتاب او لنكشفنك .

فلما رأت الجدمه قالت : اعرض

فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ،
فدفعته اليه .

فاتى به رسول الله ﷺ .

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً ، فقال :

« يا حاطب ما حملك على هذا ؟ »

فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما
غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من اصل ولا
عشيرة ، وكان لي بين اظهرهم ولد واهل ، فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ،

فإن الرجل قد نافق .

فقال رسول الله ﷺ :

« وما يدريك يا عمر ، أمل الله قد اطّلع على أصحاب بدر يوم
بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ، .

فأنزل الله تعالى في حاطب :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون
اليهم بالموادة ﴾ .

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم
كلثوم بن حصين .

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .
فصام رسول الله ، ﷺ ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان
بالكديد أظفر .

ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .

وخرج مع رسول الله ، ﷺ ، المهاجرون والانصار ، فلم يتخلف منهم أحد .

قصة اسلام العباس بن عبد المطلب

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ، ﷺ ، ببعض الطريق ، لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ، ﷺ ، عنه راض . وهكذا خرج العباس مهاجراً إلى رسول الله ﷺ ، فوجده في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة اسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر الظهران .. قال العباس بن عبد المطلب :

فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله .. صلى الله

عليه وسلم .. مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلست على بغلة رسول الله ، ﷺ ، البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك .

فقلت : لعلي أجد بعض الخطابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يسأني مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ، ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان ، وُبدل بن ورقاء وهما يتراجعان .

وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ؟!

فيقول بدليل : هذه والله خزاعة ، حمستها الحرب .

فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل ، من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته .

فقلت : يا أبا حنظلة ؟

فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟

قلت : نعم !

قال : مالك فداك ابي وأمي ؟

قلت : ويحك يا ابا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله ؟

قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟

قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فاستامنه لك .

فركب خلفي ورجع صاحباه .

فجئت به ، كلما مررت بنار من المسلمين ..

قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ ، وأنا عليها قالوا : نعم رسول صلى الله عليه وسلم .. على بغلته .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقال : من هذا ؟! وقام إلي .

فلما رأى ابا سفيان على عجز الدابة .

قال : أبو سفيان عدو الله ؟! الحمد لله الذي أمكن منك ، بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة ، فسبقته
بما يسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

فاقتحمت عن البغلة ..

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
ودخل عليه عمر .

فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه ،
بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد أجرته .

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ..

فقال رسول الله ﷺ :

« اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأنتفي به ، » .

فذهبت به إلى خيمتي ، فبات عندي .

فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، ﷺ فلما رآه رسول الله

ﷺ قال :

« ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ ، » .

قال : بابي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !! والله

لقد ظننت ان لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عني شيئاً
بعد ..

قال : « ويحك يا ابا سفيان !! ألم يأن لك ان تعلم اني رسول
الله ؟ »

قال : بابي انت وأمي ، ما احلمك واکرمك واوصلك !! اما
هذه والله فإن في النفس منها حتى الان شيئاً .
فقال له العباس :

« ويحك اسلم ، واشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ،
قبل ان تضرب عنقك ، .
فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس :

قلت : يا رسول الله ، إن ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل
له شيئاً .

قال : « نعم .. من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اعلىق
عليه بأبه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، .. »

عرض الجيـش

فلما ذهب لينصرف . .

قال رسول الله ﷺ :

« يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي ، عند خَطْمِ الجبل (١) ، حتى
تمر به جنود الله فيراها ، .

قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول
الله ﷺ ، أن احبسه .

ومرت القبائل على رآياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس
من هذه ؟!

فاقول : سليم .

فيقول : مالي ولسليم ؟

(١) انف الجبل ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق .

ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟

فأقول : مزينة .

فيقول : مالي ولمزينة ؟

حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته

بهم قال : مالي ولبنني فلان .

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء^(١) .

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يرى منهم إلا

الحدق من الحديد .

فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟

قلت : هذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين

والأنصار .

قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد

أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً .

(١) كان أبو عبيدة أحد رجال تلك الكتيبة الخالدة .

قلت : يا ابا سفيان إنها النبوة .

قال : فنعم إذن .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا جاءهم ، صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

فقامت اليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ..

فقالت : اقتلوا الحميت^(١) الدسم الأحمس ، قبح من طليعة^(٢)

قوم !!

قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل

.....

(١) الحميت : زق السممن . والدسم : الكثير الودك . والاحمس :

الشديد اللحم - تريد تشبيهه به لضخامته وسمنه .

(٢) طليعة القوم : الذي يتقدمهم ، او يحرسهم .

لكم به . فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .
قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك !؟
قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد
فهو آمن .
فتفرق الناس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى ،
وقف على راحلته متعمماً ، بنصف بردة حمراء ، وإن رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه
الله به من الفتح .

حتى إن عثوثه^(١) ليكاد يمسُّ واسطة الرحل!
وهكذا كان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، لم يدخل

(١) ذقنه .

مكة دخول الجبارين المتكبرين ، وإنما دخلها دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى .

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

وقالوا إن سعداً - حين وجه داخلاً - قال : اليوم يوم الملاحمة ، اليوم الملاحمة ، اليوم تستحل الحرمه .

فسمعها رجل من المهاجرين فقال :

... يا رسول الله .. اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أنت

تكون له في قريش صولة .

فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لعلي بن أبي طالب :

« اذركه فخذ الراية منه ، فكن انت الذي تدخل بها ، » .

وأمر رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. خالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة في بعض الناس .

واقبل ابو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، ينصب لكمة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودخل رسول الله ﷺ من أواخر ، حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبته .

وناوش نفر قليل من المشركين ، وناوشهم خالد بن الوليد . وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قد عهد إلى أمراءه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم .

إلا أنه قد عهد في نفر سماهم ، أمر بقتلهم ، وإن وجدوا تحت

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مكة ، واطمأن
الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، فلما
قضى طوافه وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في
المسجد ..

فقال :

« لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر
عبده ، وهزم الأحزاب وحده .. »
« ألا كل مأثرةٍ أو دم أو مال يُدعى ، فهو تحت قدمي
هاتين .. »

« إلا سدانة البيت وسقاية الحاج .. »

« ألا وقتيل الخطأ شبيه العمد بالسوط والعصا ففيسه الدية
مغلظة ، مائة من الابل ، اربعون منها في بطونها اولادها . »

« يا معشر قريش ، وإن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ،
وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وأدم من تراب . »

ثم تلا هذه الآية :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وانثى ﴾ ..

الآية كلها .

ثم قال :

« يا معشر قريش ، ما ترونني فاعل فيكم ؟ »

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء . »

هاك مفتاحك يا عثمان

ثم جلس رسول الله .. صلى الله عليه وسلم في المسجد .

فقام اليه علي بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، فقال :

يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« ابن عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعى له .

فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

رووا أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصَوِّراً ، في يده الأزام ، يستقسم بها !

فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام؟ ما شأن إبراهيم والأزلام ؟

﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ ..

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال :

دخل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ،
وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنهما بعود في يده
ويقول :

« جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبديء الباطل وما

يهيد » ..

[اخرج البخاري]

وفي رواية مسلم قال :

دخل رسول الله .. ﷺ . يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة
ثلاثمائة صنم ، فاخذ قضيبه ، فجعل يهوى إلى الصنم ، وهو يهوى ،
حتى مر عليها كلها .

وهكذا طهر رسول الله .. ﷺ .. البيت من تلك النجاسات ،
وتلك الخرافات التي جعلتها قريش وغيرها بيوت الله الحرام .

ان الله حرّم مكة

فلمّا كان من الغد يوم الفتح ، اعتدتُ خزاعةُ على رجل من هذيل ، فقتلوه وهو مشرك .

فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال :

« يا أيها الناس ، إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرامٌ من حرامٍ إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد^(١) فيها شجراً ..

« لم تحلّ لأحد كان قبلي ، ولا تحلّ لأحدٍ يكون بعدي ، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ، ألا ثمّ قد رجعت كحُرمتها بالأمس ..

« فليبلغ الشاهدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ ،

(١) يعضد : يقطع

قاتل فيها ، فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحِلِّهَا
لكم ، يا معشرَ خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر
القتل .. .

ماذا قلتم ؟

ثم إن النبي ﷺ -- حين افتتح مكة ودخلها -- قام على الصفا
يدعو الله ، وقد أهدقت به الأنصار .

فقالوا فيما بينهم :

- أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إذا فتح
الله عليه أرضه وبلده ، يقيم بها ؟

فلما فرغ من دعائه .. قال :

« ماذا قلتم ؟ .. »

قالوا : لا شيء يا رسول الله .

فلم يزل بهم حتى أخبروه ..

فقال النبي ﷺ :

« معاذ الله ، الهيا عبياكم ، والممات ممانكم ، .. »

سرايا تدعو الى الله

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيما حول مكة
السرايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة
داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً .

فوطىء بني جذيمة ..

فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن
الشاس قد اسلموا .

ووضع الناس السلاح لقول خالد .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا ، ثم عرضهم
على السيف ، فقتل من قتل منهم !

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ،

ثم قال :

« اللهم اني ابرأ اليك: مما صنع خالد بن الوليد » ..

اللهم اني ابرأ اليك

.. ثم انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر .

.. ثم دعا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. علي بن أبي طالب فقال :

« يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في امرهم ، واجعل امر الجاهلية تحت قدميك ، .. »

فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله .. ﷺ ..

.. فاعطاهم التعويضات عما اصابهم فوق ما يطلبون .

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فقال :

« يا ابي اصبحت واحسنت ، .. »

ثم قام رسول الله ﷺ ، فاستقبل القبلة ، قائماً ، شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه ، يقول :

« اللهم اني ابرأ اليك عما صنع خالد بن الوليد .. »

ثلاث مرات .

خالد يهدم العُزَيّ

ثم بعث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَيّ .

وكانت بيتاً يعظمه قريش وكنانة ومضر كلها .

فلما انتهى اليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

كان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .



أين أبو عبيدة في ذلك الفتح الأكبر ؟

لقد نال فيه شرفين ..

الشرف الأول .. انه كان احد الأبطال العظماء الذين يحفون

برسول الله .. ﷺ .. في الكتيبة الخضراء !!

تلك الكتيبة التي يقودها سيد الأولين والآخرين .. صلى الله

عليه وسلم ..

د حتى مرّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في كتيبته
الخصراء ..

د وإنما قيل لها الخصراء لكثرة الحديد وظهوره فيها ..
د فيها المهاجرون والأنصار .. رضي الله عنهم .. لا يرى
منهم إلا الحدق من الحديد .. !!
ما هذا !؟

هذا مشهد سوف يبقى مشهداً ليس كَيْثِلِه مشهد !!
رسول الله !!!؟

أحبّ الخَلْق إلى الله !!
ارقي انسان خلقه الله !!

أعلى .. وأعلى .. وارفع .. وأثن هدية أهداها الله إلى
البشرية !!

ذلك النبيّ .. العظيم الكريم .. على رأس تلك الكتيبة ..
هذا وحده يكفي ليرفع تلك الكتيبة .. فوق كل كتيبة .. كانت
أو سوف تكون ..

إلا أنّ الله زادها شرفاً .. فجعل جنودها خير أجناد
الأرض .. المهاجرين والأنصار !!

فانظر .. هل ترى العين أبهج ولا اجمل من ذلك المشهد؟!
وكان أبو عبيدة .. أحد هؤلاء العظماء ..
وترى المهاجرين والأنصار .. حافسين .. من حول رسول الله ..
ﷺ ..

ومن بينهم أبو عبيدة .. أمين هذه الأمة !!
لو لم يكن في حياة أبي عبيدة إلا هذا المشهد لكان حسبته
شرفاً وفخراً .
لكن رسول الله .. ﷺ .. زاده شرفاً على شرف .. فكيف
كان ذلك !؟

« وقالوا إن رسول الله .. ﷺ .. حين فرّق جيشه من
ذي طوى ..

« أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى ..
وكان الزبير على المنبّة اليسرى ..

« وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء ..

« وأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. خالد بن الوليد ..
فدخل من أسفل مكة .. في بعض الناس ..

« وأقبل أبو عبيدة بن الجراح .. بالصف من المسلمين ..

يَنصَبُ لِمَكَّةَ بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

» ودخل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. من أذاخر ..
حتى نزل بأعلى مكة .. وضربت له هناك قبته .. « !!

تأمل : وأقبل ابو عبيدة بن الجراح .. بالصف من
المسلمين !؟

أبو عبيدة قائد لأغلب الجيش .. الذي كان عدده كله عشرة
آلاف ..

فلو فرضنا أن كلاً من الزبير .. وسعد بن عباد .. وخالد
ابن الوليد .. كان يقود الفأ من الصحابة .. كان مجموع الذين معهم
ثلاثة آلاف - مثلاً -

يبقى من الجيش - الذي هو خير جيش - سبعة آلاف ..
هؤلاء كان يقودهم امين الأمة .. ابو عبيدة بن الجراح ..
بين يدي من !؟

بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !!

» وأقبل ابو عبيدة بن الجراح ..

» بالصف من المسلمين ..

» ينصب لمكة ..

» بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ، !!

ذلكم أبو عبَّيدَةَ !!

رضي الله عنه !!

ابو عبیدة ...

امیر علی ...

أبي بكر وعمر !

قال ابن الاثير :

« ودخلت سنة ثمان ..

« ذكر غزوة ذات السلاسل ..

« وفيها أرسل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعذرة .. يدعو الناس إلى الاسلام ..

« وكانت أمه من بليّ .. فتألفهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بذلك

« فسار حتى إذا كان على ماء بارض جندام يقال له السلاسل .. وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ..

« فلما كان به خاف .. فبعث إلى النبي .. صلى الله عليه وسلم .. يستمده ..

« فبعث إليه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« أبا عبيدة بن الجراح ..

« في المهاجرين الأولين ..

« فيهم أبو بكر وعمر ..

« وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ..

« فخرج أبو عبيدة .. فلما قدم عليه قال عمرو : إنما جئت

مدداً إليّ ..

« فقال له أبو عبيدة :

« يا عمرو .. إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قال :

لا تختلفا ..

« فان عصيتني اطعتك ..

« قال : فأنا امير عليك ..

« قال فدونك ..

« فصلى عمرو بالناس .. » !!

★

ها هنا وقفة خطيرة .. ذات دلالات خطيرة ..
بعث رسول الله .. ﷺ .. مَدَدَا إلى عمرو .. أبا عبيدة .. في
المهاجرين الأولين .. فيهم أبو بكر وعمر ..
فما معنى هذا!؟

معناه أن أبا عبيدة أهلٌ أن يكون امبراً على صفوة المهاجرين
الأوليين .. الذين هم خير الصحابة ..
ويكفي أن ابا بكر وعمر .. وهما مآهما .. كانا في هؤلاء
الذين يقودهم أبو عبيدة ..

ولكنّ عمرو نازع أبا عبيدة رغم ذلك وأصرّ على الامارة !!
فماذا كان من امين الأمة!؟
كان منه شيء عجاب ..
« فان عسييتنى اطمتك » !!

ها هنا نفهم شيئاً من أسرار شخصية أمين الأمة !!
عمرو حريص على الامارة .. حتى ولو كان أميراً على أبي
بكر وعمر وأبي عبيدة !!

وما كان له أن يتقدم عليهم !!
وأبو عبيدة غير حريص على الامارة .. حتى ولو كان الامير

عليه .. دونه سابقة وفضلاً !!

فماذا نسمي تلك الصفة العُليا ؟!

لا تستطيع إلا أن تقول : إنه أمين الأمة !!

ثم انظر إلى الجمال المكنون من شخصية أبي عبيدة ..

يقول له عمرو : فانا امير عليك ..

فيقول العملاق الأمين : فدونك !!

'خذها يا عمرو .. وكن اميراً .. واحمل الامارة .. فما جئنا

لنكون أمراء .. ولكن لنتصر الله ورسوله !!

وكان اعجب ما في المشهد :

« فصلتني عمرو بالفتاس ، ١١٢ »

عمرو .. الذي اسلم منذ أيام معدودة .. يصلي بعمالة الاسلام ..

المهاجرين الأولين ؟!

إنه الاسلام .. سوى بين الجميع !!

أبو عبيدة .. امير ..

على ثلاثمائة من المهاجرين .. والانصار ١٤

- » وفيها - اي سنة ثمان - كانت غزوة الخيـبـط ..
- » واميرهم ابو عبيدة بن الجراح ..
- » في ثلاثمائة من المهاجرين والانصار ..
- » وكانت في رجب ..
- » وزوّدهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. جراباً من تمر ..
- » فكان ابو عبيدة يقبض لهم قبضة .. ثمّ تمرة تمرة ..
- » فكان أحدهم يلوكها .. ويشرب عليها الماء ..
- » فنفد ما في الجراب ..
- » فاكلوا الخيـبـط .. وجاعوا جوعاً شديداً ..
- » فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها ..

« فنهاه أبو عبيدة .. فانتهى ..
« ثم إنَّ البحر القى اليهم حوتاً ميتاً .. فاكلوا منها حتى
شبعوا ..
« ونصب أبو عبيدة ضلعاً من اضلاعه .. فيمرّ الراكب
تحتَه ..
« فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبيّ .. صلى الله عليه
وسلم .. فقال :
« كلوا .. رزقاً اخرجهُ الله لكم ..
« وأكل منه رسول الله .. ﷺ ..
« وذكروا صنيع قيس بن سعد ..
« فقال : إنَّ الجود من شيمة اهل ذلك البيت . »

★

ماذا نستنبط من هذه الأقصوة .. اقصوة غزوة
الخبّط ؟!

أنّ ابا عبيدة مرشح للإمارة من رسول الله .. ﷺ .. أكثر
من مرّة ..

ها هنا .. وهنالك .. في القصة السابقة .. حين ذهب مدّداً
لعمرو في غزوة ذات السلاسل ..

ومن قبل .. فيما هو اعظم من ذلك واكبر ..

كما شهدنا في الفصل السابق .. حين اقبل أبو عبيدة على رأس
اغلبية الجيش .. ينصبّ بين يدي رسول الله .. ﷺ .. يوم
فتح مكة ..

ما سعى اليها .. ولكن رفعه رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم .. اليها .. إشارة إلى الصفة الأصلية من تكوينه .. صفة
الأمانة !!

وسوف ترى في الفصل القادم .. ما هو أعجب ..

فما هو هذا الأعجب !؟

عَرَضْتُ عَلَيْهِ ..

الْخَلِيفَةُ ..

فَأَبَى !؟

في

هذا الفصل .. سوف ترى امراً عَجَباً !!
رجل يُعرض عليه أعظم منصب في الدولة ..
يُعرض عليه أن يكون هو الخليفة بعد رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم ..

ويرشحه لذلك .. ابو بكر .. وما أدراك ما أبو بكر !!
فيأبى !!

واليك تطور الأحداث ..

نحن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .

فبينما الناس على ذلك ، ابتدئ رسول الله ﷺ .. بشكواه ،
الذي قبضه الله فيه ، في ليال بقين من صفر .

فكان اول ما ابتدئ به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع

الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى اهله .
فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

عن أبي مَوْيِّبَةَ مولى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
قال :

- بعثني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. من جوف
الليل ، فقال :

« يا أبا مَوْيِّبَةَ ، اني قد امرت ان استغفر لاهل هذا البقيع ،
فانطلق معي ، .. »

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

« السلام عليكم يا اهل المقابر ، ليهنئى لكم ما اصبحتم فيه ، بما
اصبح الناس فيه ، اقبلت الفتن كقطع اللؤلؤ المظلم ، يتبع آخرها
اولها ، الآخرة شر من الاولى ، .. »

ثم اقبل عليّ فقال :

« يا ابا موهبة ، اني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ، » .

فقلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .

قال : « لا ، والله يا ابا موهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، » .

ثم استغفر لأهل البقيع ..

ثم انصرف .

فبدأ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مرضه الذي قبضه الله فيه .

وارأساه

عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :

– رجع رسول الله ، ﷺ ، من البقيع ، فوجدني وانا أجد

صداعاً في رأسي ، وانا أقول : واراساء .

فقال . « بل انا والله يا عائشة واراساء » .

قالت : ثم قال :

« وما ضرك لو 'مت' قبلي ، فعمت' عليك وكفمتنك' وصليت

عليك ودفنتك ؟ » .

قالت : قلت : والله لكانني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت

إلى بيتي فأعرتست فيه ببعض نسائك !

فتبسم رسول الله ، ﷺ ..

وتتأم عليه مرضه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد به وهو

في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ،
فأذن له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :

– فخرج رسول الله ، ﷺ ، يمشي بين رجلين من اهله ،

أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل آخر^(١) ، عاصباً رأسه ، تخط
قدماه ، حتى دخل بيتي .

ثم نُغمِرَ رسول الله ، ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال :

« هَرَيْقُوا عَلِيَّ سَبْعَ قُرْبٍ مِنْ أَبَارِ شَتِي ، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى
النَّاسِ ، فَأَعْتَهَدَ إِلَيْهِمْ ، . »

فأقعدهناه في مَخْضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عَمْرِ ، ثم صببنا الماء حتى
طفق يقول :

« حَسْبُنَاكُمْ حَسْبُكُمْ ، .. »

ينبغي نفسه

وخرج رسول الله .. ﷺ .. عاصباً رأسه ، حتى جلس
على المنبر .

(١) هو علي بن ابي طالب .

ثم كان اول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أُحُدٍ ،
واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم .

ثم قال :

« إن عبداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين
ما عنده ، فاختر ما عند الله » .

ففهمها أبو بكر ، وعرف ان نفسه يريد ، فبكى ، وقال : بل
نحن نفديك بأنفسنا وابنائنا .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« على رسلك يا ابا بكر .. »

ثم قال :

« انظروا هذه الأبواب اللادفظة^(١) في المسجد فسدوها ، إلا
بيت ابي بكر ، فاني لا اعلم احداً ، كان افضل في الصحبة عندي
يبدأ منه » ..

ويروى ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ

.....

(١) اللاقطة : النافذة اليه .

في كلامه هذا :

« فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً ، لاتخذتُ ابا بكر خليلاً ،
ولكن صحبةً ، وإخاءُ إيمانٍ ، حتى يجمع الله بيننا عنده ، » .

انفذوا بعث اسامة

ثم إن رسول الله ، ﷺ .. استبطناً الناس في بعث اسامة ،
وهو في مرضه .

فخرج عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .
وقد كان الناس قالوا في إمرة اسامة : أمر غلاماً حدثاً ، على
جلة المهاجرين والأنصار .
فحمد الله ، واثني عليه بما هو له اهل .

ثم قال :

« يا ايها الناس ، انفذوا بعث اسامة ، فلمعري لئن قلتُم في
إمارته ، لقد قلتُم في إمارة ابيه من قبله ، وإنه لخليقٌ للإمارة ،
وإن كان ابوه لخليقاً لها ، .. »

ثم نزل رسول الله ، ﷺ ، وانكش الناس في جهازهم ، واشتد برسول الله ، ﷺ ، مرضه .

فخرج اسامة ، وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ .

فضرب به معسكره ، وتتام اليه الناس .

ونقل رسول الله ، ﷺ ، فأقام اسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ، ﷺ ..

استوصوا بالانصار خيراً

وروي ان رسول الله ، ﷺ .. قال - يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر ، مع مقالته يومئذ -

« يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالانصار خيراً ، فان الناس يزيدون ، وان الانصار على هينتها لا تزيد ، وانهم كانوا عيبتني التي اويت اليها ، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم ، .. »

ثم نزل رسول الله ، ﷺ .. فدخل بيته ، وتتام به مرضه حتى غمره .

من صنع هذا بي ؟

فاجتمع اليه نساء من نسائه ، ام سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس .

وعنده العباس عمه ، فاجمعوا على أن يُلْدُوهُ^(١) .

وقال العباس : لأُلدنّه .

فلدُوهُ ..

فلما افاق رسول الله ، ﷺ .. قال :

« من صنع هذا بي ؟ »

قالوا : يا رسول الله عمك .

قال « هذا دواءٌ أتى به نساء جنن من نحو هذه الارض » ..

وأشار نحو ارض الحبشة .

.....

(١) لدت المريض : إذا جعلت الدواء في شق فمه .

قال : « ولم فعلتم ذلك ، ؟ »

فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله ان يكون بك ذات جنب .

فقال : « ان ذلك لءاء ما كان الله ليقدفني به ، لا يبق في البيت احد الا لدا عمي ، .. »

فلقد لدت ميمونة ، وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ، ﷺ ..
عقوبة لهم بما صنعوا به .

يدعو بالاشارة

عن أسامة بن زيد ، لما ثقل رسول الله ، ﷺ ، هبطت ، وهبط الناس معي إلى المدينة .

فدخلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أصميت ، فلا يتكلم .

فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعولي ..

إذا والله لا يختارنا!

عن عائشة قالت :

- كان رسول الله ، ﷺ .. كثيراً ما أسمعُه يقول :

« ان الله لم يقبض نبياً حتى يُخَيَّرَهُ » ..

قالت : فلما حضر رسول الله .. ﷺ .. كان آخر كلمة سمعتها

منه وهو يقول :

« بل الرفيق الأعلى من الجنة » ..

قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا، وعرفت انه الذي كان

يقول لنا

« ان نبياً لم يقبض حتى يُخَيَّرَ » ..

وعن عائشة أيضاً قالت :

- كان رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« ما من نبي الا تقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد اليه ،

فيخير بين ان ترد اليه ، وبين ان يلاحق » ..

فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمسندته إلى صدري ، فنظرت
إليه حين مالت عنقه ..
فقلت : قد قضى ..
فعرفت الذي قال .
فنظرت إليه حين ارتفع فنظر ..
قلت : إذا والله لا يختارنا ..
فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة ، مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

«مروا أبا بكر فليصل بالناس»

عن عائشة قالت :

لما استعزَّ برسول الله .. ﷺ .. قال :

« مروا أبا بكر فليصلَّ بالناس » .

قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ،
كثير البكاء إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروءة فليصل بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « انكن صواحب يوسف » ، فمروءة فليصل بالناس » .

قالت : فوالله ما اقول ذلك إلا أني كنت احب ان يُصْرَف ذلك عن أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه ابداً ، وان الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت احب أن يصرف ذلك عن أبي بكر ..

فأين ابو بكر ؟

عن عبدالله بن زَمْعَةَ قال :

— لما استعز برسول الله ﷺ .. وأنا عنده في نفر من المسلمين — دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال : مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ..

فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً .

فقلت : قم يا عمر فصل بالناس .

فقام .. فلما كبر ، سمع رسول الله ، ﷺ .. صوته ، وكان عمر رجلاً مُجَهراً^(١) .

فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« فإين أبو بكر ؟ يا أباي الله ذلك والمسلمون ، يا أباي الله ذلك والمسلمون ، .. »

فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .

قال لي عمر :

« - ويحك !! ماذا صنعت بي يا ابن زمعة ؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله .. ﷺ .. أمرك بذلك ؟ ولولا ذلك ما صليت بالناس . »

قلت : والله ما أمرني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

.....

(١) مجهراً : عالي الصوت .

بذلك ، ولكنني حين لم أرَ ابا بكر ، رأيتك احق من حضر
بالصلاة بالناس .

النظرة الاخيرة

عن أنس بن مالك :

لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ، ﷺ ، فخرج
إلى الناس وهم يصلون الصبح .

فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ، ﷺ ، فقام على
باب عائشة .

فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ، ﷺ ، حين
رأوه ، فرحاً به ، وتفراً جوا .

فأشار اليهم ان اثبتوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله ، ﷺ .. سروراً لما رأى من هيئتهم في
صلاتهم .

وما رأيت رسول الله ، ﷺ ، أحسن هيئةً منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون ان رسول الله ، ﷺ ، قد
افترق^(١) من وجعه ، فرجع ابو بكر إلى اهله بالسُّنْح^(٢) .

يصلي وراء ابي بكر !!

لما كان يوم الاثنين ، خرج رسول الله ، ﷺ ، عاصباً رأسه
إلى الصبح ، وابو بكر يصلي بالناس .

فلما خرج رسول الله ، ﷺ ، تفرج الناس ، فعرف أبو
بكر ان الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ، ﷺ ، فنكص
عن مصلاه .

فدفع رسول الله ، ﷺ ، في ظهره ، وقال :

« صَلِّ بالناس » ..

وجلس رسول الله ، ﷺ ، إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن

(١) افترق من وجعه : ابل من مرضه وبرىء منه .

(٢) موضع كان لابي بكر فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

يمين ابي بكر .

فلما فرغ من الصلاة ، اقبل على الناس ، فكلمهم رافعاً صوته ،
حتى خرج صوته من باب المسجد يقول :

« ايها الناس ، سَعَرَتِ النَّارُ ، واقبلتِ الفتن كقطع الليل
المظلم ، واني والله ما تمسكون عليّ بشيء ، اني لم احلّ الا ما
احلّ القرآن ، ولم احرّم الا ما حرّم القرآن » ..

فلما فرغ رسول الله ، ﷺ ، من كلامه ، قال له أبو بكر :
يا نبي الله ، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل ، كما
نُحِب ، واليوم يوم بنت خارجة أفأتيتها ؟

قال ، « نعم » ..

ثم دخل رسول الله ، ﷺ .. وخرج أبو بكر إلى اهله
بالسُّنْح .

بل الرفيق الأعلى

فَتَوُفِّيَ رسول الله ، ﷺ ، حين اشتد الضُّحَاء من يوم
الاثنين ، لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لتام عشر

سنتين من مقدمه المدينة .

عن عائشة قالت :

رجع إليّ رسول الله ، ﷺ .. في ذلك اليوم ، حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجري .

فدخل علي رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر .

فنظر رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم اليه في يده ، نظراً عرفت انه يريد .

فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن اعطيك هذا السواك ؟

قال : « نعم » ..

قالت : فساخذته فمضغته حتى كَينُتُهُ ، ثم اعطيته إياه .

فاستنّ به كأشد ما رأيتَه يستنّ بسواك قطّ ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله ، ﷺ ، يثقل في حجري ، فذهبت أنظر

في وجهه ..

فإذا بصره قد شخّص ، وهو يقول :

« بل الرفيقَ الاعلى من الجنة » ..

فقلت : « خيّرْتَ فاخترتَ ، والذي بعثك بالحق .

وُقْبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ..

تقول عائشة :

« مات رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم .. بين سَحْرِي^(١) وَنَحْرِي^(٢) وفي دولتي^(٣) ، لم اظلم فيه احداً . فمن سَفَهِي وحدائفة سني ، أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت التتديم^(٤) مع النساء ، واضرب وجهي . »

والله ما مات !!

عن أبي هريرة :

لما توفي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قام عمر بن

- (١) السحر : من الرثة إلى الحلقوم .
- (٢) النحر : اعلى الصدر .
- (٣) في دولتي : في نوبتي التي كانت لي .
- (٤) التدم : اضرب صدري .

الخطاب فقال :

« إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي ، وإن رسول الله ﷺ .. والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه ، أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله ليرجعن رسول الله ﷺ .. كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ .. صلى الله عليه وسلم مات ، .. »

أبو بكر يُقبِّل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ ، في بيت عائشة .

ورسول الله ، ﷺ .. مغطى الوجه في ناحية البيت ، عليه بُردٌ حَسْبَرَةٌ^(١) .

(١) نوع من ثياب اليمن .

فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ .

ثم أقبل عليه فقبّله .

ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك ، فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً .

ثم ردّ البرد على وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس .

وما محمد إلا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ..

فسأبى إلا أن يتكلم .

فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه ، أقبلوا عليه ، وتركوا عمر .

فحمد الله واثنى عليه .

ثم قال : ايها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت .

ثم تلا هذه الآية :

﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ..

فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

واخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة :

قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت^(١) حتى وقعت إلى الأرض ، ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله ﷺ ، قد مات .

(١) فمقرت : تحيرت ودهشت .

عمر يروي قصة اختيار ابي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا - حين توفي الله نبيه ﷺ - ان الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معها .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر .

فقلت لأبي بكر :

- انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم .. حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة ..

فلمّا جلسنا ، تشهد خطيبهم ، فآثني على الله بما هو له

أهمل ..

ثم قال : أما بعد ، فنحن انصار الله ، وكتيبة الاسلام ،

وانتم يا معشر المهاجرين ، رهط منا ، وقد دفتت^(١) دافة من

(١) الدافة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة .

قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون ان يحتازونا من أصلنا ، ويفصبونا
الأمر .

فلما سكت اردت ان اتكلم ، وقد زوّرت^(١) في نفسي مقالة
قد اعجبنتني ، اريد ان اقدمها بين يدي أبي بكر ..
فقال ابو بكر : على رسلك يا عمر .

فكرهت أن اغضبه .

فتكلم ، وهو كان أعلم مني وواقر ..

فوالله ما ترك من كلمة أعجبنتني من تزويري إلا قالها في بديهته ،
او مثلها ، او افضل ، حتى سكت .

قال : اما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له اهل ، ولن تعرف
العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم اوسط العرب
نسباً وداراً .

وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ..
واخذ بيدي وهيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ..

(١) زورت : اعدت وحننت .

ولم اكره شيئاً مما قال غيرها ، كان والله أن اقدم فتضرب عنقي ، لا يُقَرَّبني ذلك إلى إثم ، أحب إلي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر .

فقال قائل من الأنصار : منا امير ، ومنكم امير ، يامعشر قريش .

قال : فكثرت اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف .

فقلت : ابسط يدك يا ابا بكر .

فبسط يده ، فبايعته .

ثم بايعه المهاجرون .

ثم بايعه الأنصار ..

عمر يعتذر

عن انس بن مالك :

لما بويع ابو بكر في السقيفة ، وكان الغد ، جلس أبو بكر

على المنبر .

فقسام عمر فتكلم قبل أبي بكر ..

فحمد الله واثني عليه بما هو اهله .

ثم قال :

« ايها الناس ، اني قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت ، وما

وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهداً الى رسول الله ، ﷺ ..

ولكني قد كنت ارى أن رسول الله ، ﷺ .. مَسِيْدُ بَرٍّ اَمْرًا ..

يكون آخرنا ،

وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ

فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له .

وإن الله قد جمع امركم على خيركم ، صاحب رسول الله ،

ﷺ ، ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة ، بعد بيعة السقيفة .

لست بخيركم

ثم تكلم ابو بكر ..

فحمد الله واثني عليه بالذي هو اهله ..

ثم قال :

أما بعد ايها الناس ؛ فإني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ،
فإن احسنتُ فأعينوني ، وإن اسأت فقوّموني ، الصدق أمانة ،
والبكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أريح عليه
حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق
منه إن شاء الله .

لا يدعُ قوم الجهاد في سبيل الله .. إلا ضربهم الله بالذل .

ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهمُ الله بالبلاء .

اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا

طاعة لي عليكم .

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

اعداد الجسد الشريف

فلما بويع ابو بكر ، رضي الله عنه ، اقبل الناس على جهاز
رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يوم الثلاثاء .

فأسند علي بن ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
صدره ..

وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه .

وكان اسامة بن زيد ، وشقران مولاة ، هما اللذان يصبان
الماء ..

وعلي يغسله ، قد اسنده إلى صدره ، وعليه قيصره يدلكه
من ورائه ، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ .

وعلي يقول : يا ابي انت وامي ، ما اطيبك حياً وميتاً .

ولم ير من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. شيء مما يرى
من الميت .

فلما فرع من غسل رسول الله ، ﷺ .. كفن في ثلاثة

أثواب ..

صحاريّين^(١) ، وبرد حبرّة ، أدرج فيه إدراجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع على سريره في بيته .

وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه .

فقال قائل : ندفنه في مسجده .

وقال قائل : بل ندفنه مع اصحابه .

فقال ابو بكر : إني سمعت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض » ..

(١) نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

فرفع فراش رسول الله ، ﷺ .. الذي توفي عليه ، فحفر له تحته .

ثم دخل الناس على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، يصلون عليه ارسالا .

دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا ادخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء ادخل الصبيان .

.. ولم يَؤُمَّ الناس على رسول الله ﷺ أحد .

في ليلة الاربعاء

.. عن عائشة قالت :

ما علمنا بدفن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ، ﷺ .. علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ . . .

وقد قال أوس بن خُوَليٍّ لعلي بن أبي طالب : يا علي أنشدك
بالله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال له : انزل ..

فنزل مع القوم .

وقد كان مولاه شقران - حين وضع رسول الله .. صلى الله
عليه وسلم في حفرته وبني عليه - قد أخذ قطيفة ، قد كان
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ،
وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً .

قال ابن عباس :

'ُبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لأربعين سنة ،
فكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ،
ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

*

قال ابن الأثير :

« لما توفي رسول الله ، ﷺ .. اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ..

« فبلغ ذلك أبا بكر .. فاتاهم ومعه عمر ..

« وأبو عبيدة بن الجراح ..

« فقال : ما هذا ؟

« فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ..

« فقال أبو بكر : متا الأمراء ومنكم الوزراء ..

« ثم قال أبو بكر :

« قد وضيت لكم أحد هذين الرجلين .. عمر .. وأبا عبيدة ..

« أمين هذه الأمة ..

« فقال عمر : أيكم يطيب نفساً أن يخلف قدّمين قدّمها

النبي ، ﷺ ؟

« فبايعه عمر .. وبايعه الناس .. »

هذه رواية .. وأخرى .

« وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين .. واخذ بيدي ..
وييد أبي عبيدة بن الجراح .. »

وفي رواية أخرى ..

« فقال أبو عبيدة :

« يا معشر الأنصار .. إنكم أول من نصر ..

« فلا تكونوا أول من بَدَل وغير ..

« فقال أبو بكر :

« هذا عمر .. وأبو عبيدة ..

« فإن شئتم فبايعوا ..

« فقالا :

« والله .. لا تتولى هذا الأمر عليك .. وأنت أفضل المهاجرين

وخليفة رسول الله .. ﷺ .. في الصلاة .. وهي أفضل دين

المسلمين ..

« أبسط يدك نبايعك ..

« فلما ذهبوا يبايعانه ..

« اقبل الناس يبايعون أبا بكر من كلِّ جانب .. »

★

ذلكم أبو عبيدة .. صاحب رسول الله .. ﷺ ..

رجل مرشح للمنصب الاعلى ..

رشحه .. مَنْ هو أفضل هذه الامّة .. أبو بكر ..

وقال : هذا عُمر .. وأبو عبيدة .. فإن شئتم فبايعوا !!

إنَّ أبا عبيدة .. يوازي في تقدير أبي بكر .. عُمر !!

وكيف لا .. وهو أمين هذه الامة !؟

ذلكم أبو عبيدة ..

أنته الخلافة .. وأيِّ خلافة !؟

أولِّ خلافة بعد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وإنَّ

لها لشأنا !!

فأبى .. وقال ومعه عمر :

« والله .. لا نتولى هذا الامر عليك .. » ۱۱

إنَّه عُمر .. وما أدراك ما عُمر !؟

وإنَّه ابو عبیدة . وما أدراك ما أبو عُبيدَة !؟

ابو بكر ..

يُأمر بقتال ..

امبراطورية الروم !؟

لئن كان بخالد عجبياً ..

فإن أبا بكر أعجب وأعجب !!

ذلك إن خالداً واحداً من قادة أبي بكر .. فكيف كان أبو بكر

الذي كان خالداً واحداً جنوده !!؟

تدريب المسلمين على غزو الروم ١٢

» كان غزو المسلمين للروم في الشام قد بدأ في حياة النبي ..

ﷺ .. ففي السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله ﷺ ..

جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة ..

» تم انتهت قيادة الجيش باتفاق المسلمين إلى خالد بن الوليد ..

الذي تجلّت عبقريته الحربية في إنقاذ جيش المسلمين من نكبة كادت

تقضي عليه ، بعد أن قتل قواده الثلاثة الذين عينهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ..

« وفي السنة التاسعة تجهز النبي ﷺ .. في ثلاثين الفاً لغزو الروم .. وسار اليهم يقود المسلمين حتى بلغ تبوك ، فلم يلق قتالاً .. وعاد بالمسلمين سالمين غانمين ..

« وقبيل وفاته .. صلى الله عليه وسلم .. جهز جيش أسامة ابن زيد .. وأوعب فيه الناس ، ولكنه لم يخرج إلى هذا الوجه الذي جهزه اليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. إلا في خلافة أبي بكر ..

ماذا ترى يا أبا الحسن !؟

دروي : ان ابا بكر لما اراد ان يجهز الجنود إلى الشام ، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص

وابا عبيدة بن الجراح

« ووجوه المهاجرين والأنصار من اهل بدر وغيرهم ..
« وشاورهم وكلهم استصوبوا رأي أبي بكر ..

« وقالوا : ما رأيت من الرأي فامضه .. فلإنا سامعون لك مطيعون .. لا نخالف أمرك ..

« وعليّ في القوم لا يتكلم ..

« فقال له ابو بكر : ماذا ترى يا ابا الحسن ؟

« فقال : ارى انك مبارك ، ميمون النقيبة ، فانك إن سرت اليهم بنفسك ، او بعثت اليهم نصرت إن شاء الله تعالى ..

« قال أبو بكر: بشرك الله بخير .. ومن اين علمت هذا ؟

« قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :

« لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه حتى تقوم الساعة

واهلك ظاهرون » ..

« قال ابو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث !. لقد

سررتني ، سرك الله في الدنيا والآخرة .

أتومره وقد صنع ما صنع !؟

ثم قام ابو بكر فخطب الناس ورغبهم في الجهاد ..

ثم امر بلالاً فأذن في الناس :

« انفروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام .. وامير

الناس خالد بن سعيد » ..

وكان خالد بن سعيد من عمال رسول الله ، ﷺ .. على اليمن ،
فلمّا ولاه ابو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، أتى عمر
أبا بكر ومنعه من تأمير خالد بن سعيد على الناس ، فعزله عن
الإمارة العامة ، وجعله ردياً بتيأه ..

قال الطبري :

وكان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد ، أن خالداً حين قدم
من اليمن بعد وفاة رسول الله ، ﷺ ، تربص ببيعة أبي بكر
شهرين يقول :

– أمرني رسول الله .. ﷺ .. ثم لم يعزلني حتى قبضه
الله ..

وقد لقي خالد بن سعيد علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان
فقال :

– يا بني عبد مناف ، لقد طيتم أنفساً عن أمركم يليه غيركم ؟
فأما ابو بكر فلم يحفلها عليه ..

واما عمر فاضطغنها عليه ..
ثم بعث ابو بكر الجنود إلى الشام ، وكان اول من استعمل
على ربيع منها خالد بن سعيد ..
فأخذ عمر يقول :

« اتؤمره وقد صنع ما صنع .. وقال ما قال » ؟

فلم يزل بابي بكر حتى عزله ..

وفي رواية :

فلم يحتمل ابو بكر عليه وجعله ردها بتيماء ، اطاع عمر في بعض
أمره وعصاه في بعضه ..

عمرو بن العاص ..

يتطلع إلى الامارة العامة ؟

وعقد ابو بكر الألوية للأمرء :

« فعقد لواء لعمر وبن العاص بعد أن استقدمه من عمان ، وكان

والياً عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

« فكتب إليه أبو بكر يقول :

– قد احببت أبا عبد الله أن افرغك لما هو خير لك في حياتك
ومعادك منه .. إلا أن يكون الذي أنت فيه احب اليك .. »

فكتب اليه عمرو :

– إني سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع
لها ، فانظر أشدها واخشنها وأفضلها فارم به ..

وكان عمرو بن العاص يرغب في الامارة العامة على جيوش
الاسلام في الشام كلها ..

فسأبى عليه ذلك أبو بكر ..

قال عمرو

... يا خليفة رسول الله .. أنا وال على الناس ؟

فقال : نعم .. انت الوالي على من أبعث معك من ههنا ..

قال : لا ، بل وال على من أقدم عليه من المسلمين !

قال : لا .. ولكنك أحد الأمراء ..

فان جمعتم حرب فابو عبيدة اميركم ..

فسكت عنه !

لواء يزيد بن أبي سفيان !؟

وعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان وأوصاه ..

ثم خرج أبو بكر يودع يزيد وهو يمشي ويزيد راكب !!

وعقد لواء لشرحبيل بن حسنة .. وسيره إلى الأردن ..

وأوصاه بمثل ما أوصى به يزيد بن أبي سفيان .

لواء ابي عبيدة بن الجراح ؟

وعقد لواء لأمين الامة أبي عبيدة بن الجراح ..

وجعل وجهه (حمص) ..

وجعله امير الناس ان اجتمعوا ..

وابى ان يؤمر عليه عمرو بن العاص ..
مع الحاح عمرو في ذلك !

الامبراطور هرقل ..

يعقد مؤتمراً حربياً !؟

سارت جيوش المسلمين حتى نزل كل جيش منها مكاناً يشرف منه
على الروم ..

وكان هرقل مقيماً ببیت المقدس بعد انتصاره على الفرس
وتحريره من نيرهم ..

فأناه الخبر بقرب جنود الاسلام منه ، فجمع اليه خاصته واصحاب
مجلسه ، وفيهم اخوه ' تذارق ' ..

فقال لهم :

- أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وان تصالحوهم ..
فوالله لان تعطوهم نصف ما اخرجته الشام وتأخذوا نصفه ،
وتقر لكم جبال الروم ، خير لكم من أن يغلبوكم على الشام

ويشاركوكم في جبال الروم ..

فأبوا عليه رأيه ، وردوا عليه قوله .. وتغلبت العامة على الخاصة
وذوي الرأي .

وأخذتهم العزة بالإثم ، فاضطر هرقل ان ينزل على رأيهم ويسير
مهم لقتال المسلمين .

فنزى حصص ، واجتمع له فيها جيش كثيف ، فرقه كتائب ..
وجعل في وجه كل امير من أمراء المسلمين جيشاً يفوق عدده عدد جيش
الاسلام !!

هرقل .. تدوي في اعماقه ..

انتصارات خالد ؟

وكان قد تراسى إلى هرقل أن خالد بن الوليد قد طلع على
« سوى » وانتسف اهله واموالهم ..

وعمد إلى بصرى فافتتحها .. وهو في طريقه لغوث إخوانه
أمراء الشام ..

فقال هرقل لجلسائه :

« ألم أقول لكم لا تقاوموهم .. فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ؟ » .

« إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم ، » (١) ..

فلا يقوم لهم احد حتى يبطلوهم ..

فقال له قومه : قاتل عن دينك ولا تجبن الناس .. واقض الذي عليك ..

فلما رأى هرقل ذلك منهم جمع اليه اهل البلاد واشراف الروم ومن كان على دينهم من العرب .

فقال لهم :

« يا أهل هذا الدين إن الله قد كان اليكم محسناً .. وكان لدينكم معزاً وله ناصر على الأمم الخالية .. وعلى كسرى والمجوس والترك وعلى من سواهم من الأمم .. وذلك انكم كنتم تعملون بكتساب ربكم الذي كان امره رشداً .. فلما بدلتم وغيرتم ذلك أطمع فيكم قوماً والله ما كنا نعبأ بهم ، ولا نخاف ان نبتلي بهم .. »

(١) حرصهم على النوائب في الحرب

وفد ساروا اليكم حفاة عراة جياعا ، قد اضطرهم إلى بلادكم
قحط المطر وجدوبة الارض وسوء الحمال ، فسيروا اليهم وقاتلوهم
عن دينكم وبلادكم واننائكم ونسائكم ..

وأنا شاخص عنكم ، وممدكم بالخيل والرجال !!

امراء جيوش المسلمين يتشاورون ؟

فلما رأى أمراء المسلمين اجتمع الروم لهم رأوا ان يتشاوروا فيما
يصنعون ..

فكان فيما اشار عليهم به عمرو بن العاص :

- إن الرأي لثلثنا الاجتماع ، وذلك ان اجتمع مثلنا إذا اجتمع
لم يغلب من قلة ..

وكتبوا إلى ابي بكر ..

ثم اتعدوا جميعاً « اليرموك » ..

ووافقهم كتاب أبي بكر بالاجتماع على مثل ما أشار به عمرو

ابن العاص ..

فقال لهم :

- ان اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً .. والقوا زحوف
المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم اعوان الله ، والله ناصر من
نصره وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى
العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ،
فاحتسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين .. وليصل كل
رجل منكم باصحابه !!

خالد .. لها !؟

اجتمع الروم .. ونزلوا وادياً عسكرياً على ضفته وجعلوه
خندقاً بينهم وبين المسلمين ..
فحصرهم المسلمون شهر صفر والربيعين ، لا يقدر احد الفريقين
على أن ينال نيلاً من الآخر ..
فلما طال الأمر على المسلمين كتبوا إلى الخليفة يخبرونه بجموع
الروم وكثرتهم ويستمدونه ..
ولم يكد كتاب الأمراء يقع إلى أبي بكر ، حتى طاف بخاطره

فاقء عين الردة ، وفاتح العراق ، ومدوخ فارس ، سيف الله ،
وسيف رسوله .. القائد المظفر خالد بن الوليد .. فاستنار وجه أبي
بكر لهذا الخاطر ..

وقال يخاطب نفسه :

« خالد لها .. »

« والله لأنسين الروم وساوس الشيطان .. بخالد بن الوليد ، !! »

هرقل يحشد ٢٤٠ ألفاً ؟

وقال ابن الأثير :

فلما وصل الأمراء إلى الشام ..

نزل أبو عبيدة الجابية ..

ونزل يزيد البلقاء ..

ونزل شرحبيل الأردن

ونزل عمرو بن العاص الجعري ..

فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل ، وكان بالقدس ، فجمعهم

وسار بهم إلى حصص فتزها وأعدّ الجنود والعساكر ، واران لإشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عن بازائه ..

فأرسل تذارق أخاه لأبيه وأمه في تسعين الفاً إلى عمرو .

وأرسل جرّجة بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان .

وبعث الفيهار بن نسطوس في ستين الفاً ، إلى أبي عبيدة بن

المجراح ..

وبعث الدراقص نحو شرحبيل .

فأجابهم المسلمون وكتبوا عمراً : ما الرأي ؟

فأجابهم : إنّ الرأي لمثلنا الاجتماع .. فان مثلنا إذا اجتمعنا

لا نُغلب من قلة . فان تفرقنا لا يقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا ..

وكتبوا إلى أبي بكر ..

فأجابهم مثل جواب عمرو وقال :

« إنّ مشاكلكم لا يؤتى من قلة .. وإنما يؤتى العشرة آلاف من

الذنوب .. فأحترسوا منها .. فأجتمهوا بإيرموك متساندين .. وليصل

كل واحد منكم بأصحابه ..

فاجتمع المسلمون باليرموك ، والروم ايضاً .. وعليهم التذارق ،
وعلى المقدمة جرجة ، وعلى المجنبة باهان ..
ولم يكن وصل بعد اليهم .. والدراقص على الأخرى ، وعلى
الحرب الفيقار ..

فنزّل الروم وصار الوادي خندقاً لهم ، وإنما ارادوا أن يتأنس
الروم بالمسلمين لترجع اليهم قلوبهم ..
ونزل المسلمون على طريقهم ، ليس للروم طريق إلاّ عليهم .
فقال عمرو : أبشروا ! . حُصرت الروم وقلّ ما جاء محصور
بخير ..

واقاموا صفراً عليهم وشهريّ ربيع لا يقسدون منهم على
شيء من الوادي والخندق .. ولا يُخرج الروم خرجة إلاّ أغار
عليهم المسلمون !!

★

إن هرقل حشد ربع مليون من جنوده في تلك المعركة ..
إنه عدد رهيب في مقاييس تلك الأزمنة ..
إن المسلمين بعثوا إلى الخليفة ، يستمدونه ..
فماذا كان من الخليفة العبقري !؟

سيف الله ..

قائداً عاماً ..

للقوات الإسلامية المسلحة؟! !

.. ٢٤٠٠٠٠ عدد جيوش الروم باليرموك ..

.. ٣٧٠٠٠٠ عدد جيوش المسلمين امامهم ..

اي امام كل جندي مسلم واحد .. عشرة جنود من الروم ..
قفزع قادة جيوش المسلمين إلى الخليفة .. ليرسل اليهم مدد
سريعاً ..

ففكر العبقري أبو بكر : من هذه المعركة الفاصلة؟!

من يدمر الروم تدميراً؟!!

فرشحت الأقدار ، خالداً ..

وقال أبو بكر كلمته الفاصلة الخالدة :

« خالداً لها .. »

« والله .. لانسين الروم وساوس الشيطان .. »

« بخالداً بن الوليد ، !! »

وفوراً تحرك الخليفة ..

وفوراً كتب إلى خالد . رجعه من حجته التي غامر فيها وأدى
حجته الخاطفة :

« سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك .. فسائهم قد شجوا
واشجوا ..

« وإياك ان تعود لمثل ما فعلت ..

« فانه لم يشج الجموع بمون الله احد من الناس شجيك ..

« ولم ينزع الشجي احد من الناس نزعك ..

« فليهنك ابا سليمان النية والحظوة ..

« فأتمم يتمم الله لك ..

« ولا يدخلنك عجب فتنسخر وتذل ..

« وإياك أن تدل بعمل .. فسان الله له المن .. وهو ولي

الجزاء ، 11

قال ابن الأثير :

« فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالسير اليهم وبالحث ..

« وان يأخذ نصف الناس .. ويستخلف على النصف الآخر

المثنى بن حارثة الشيبانيّ .. ولا يأخذنّ من فيه نجدة إلا
ويترك عند المثنى مثله . وإذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه
إلى العراق ..

« فاستأثر خالد بأصحاب النبي .. صلى الله عليه وسلم .. على
المثنى .. وترك للمثنى عدادهم من اهل القناعة من ليس له صحبة ،
ثم قسم الجند نصفين ..

« فقال المثنى : والله لا اقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر ..
وبالله ما ارجو النصر إلا بأصحاب النبي .. صلى الله عليه
وسلم ..

« فلما رأى خالد ذلك أراضاه ..

« وقيل : سار من العراق في تسعة آلاف .. » !!

إنهم يتنازعون أصحاب النبي .. صلى الله عليه وسلم ..
خالد يريدهم ..

والمثنى يريدهم ..

نعم .. لأنهم يقاتلون لله .. والنصر ينزل على قلوبهم !!

سييف الله ..

يسلك صحراء .. لا ماء فيها ..

قال الراوي :

« خلف خالد على العراق بامر الخليفة ، المشي ..

« وفصل بمن معه من أبطال الاسلام من الحيرة إلى دومة ..

« ثم طعن في البرية ، وطلب حذاق الأدلاء وقال لهم :

« كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم ؟

« فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، !!

إن البطل يتلوب للروم .. يريد طريقاً لا يتوقعون أن يأتي

منه ، ولو كان في هذا الطريق هلاك محقق !!

« فكلهم قالوا : لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه

الفذ الراكب ، فايك ان تغرر بالمسلمين ..

« فأبى خالد إلا ان ينفذ رأيه ، وطلب الخريت ، فدل على رافع

ابن عمير الطائي ..

« فقال له في ذلك ..

« فقال رافع : إنك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال ، والله إن
الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها إلا مغرر ، إنها الخمس
ليال جياذ ، لا يُصاب فيها ماء مع مضلتها ..

« فقال له خالد : ويحك ! إنه والله لا بد لي من ذلك ، إنه قد
اتتني عزيمة فمر بامرك ..

« ثم قام خالد في الناس ليشحذ عزائمهم ، فقال :

« لا يختلفن هديكم .. ولا يضعفن يمينكم ..

« واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية .. والاجر على
قدر الحسبة ..

« وان المسلم لا ينبغي له ان يكثر بشيء يقع فيه مع
معونة الله ، !!

★

يقطع ١٦٠ كيلو .. ليس فيها ماء ؟

« فقالوا له : انت رجل قد جمع الله لك الخير .. فشأنك ..

« والتفت خالد إلى رافع بن عمير يستنطقه ..

« فقال رافع : استكثروا من الماء من استطاع منكم ان يصر أذن

ناقته على ماء ، فليفعل ، فانها المهالك إلا ما دفع الله ..

« ثم قال لخالد : أبغني عشرين جزوراً عظاماً مسان ..

« فاتاه بهن .. فعمد اليهن فظماهن ، حتى إذا اجهدهن العطش

أوردهن فشربن ، حتى إذا تملأن عمد اليهن فقطع مشافرهن ..

« ثم كعمهن لئلا يجتررن ..

« ثم قال لخالد : سر !!

« فسار خالد معه مغذاً بالخيول والأثقال ..

« فكلما نزل منزلاً .. اقتطع اربعاً من تلك الشرف ، فأخذ ما

في أكراشها ، فمزجه بما كان من اللبان فسقاه الخيل ، ثم شرب الناس

مما حلوا معهم من الماء ..

« فلما كان آخر يوم من المفازة خشي خالد على اصحابه أب
يفضحهم حر الشمس ، فأراد ان يطمئنهم ، فقال لرافع :

« ويحك يا رافع ما عندك .. »

« قال : خير ، ادركت الري إن شاء الله .. »

« وشجعهم وهو متحير أرمم .. »

« فلما دنا من مكان يعرفه قال للناس : انظروا هل ترون شجرة

من عوسج كقعدة الرجل ؟ »

« قالوا : ما نراها .. »

« قال رافع : إنا لله وإنا اليه راجعون !؟ »

« هلكنم والله إذاً وهلكت .. لا ابا لكم .. انظروا .. »

« فطلبوها فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية .. »

« فلما رآها المسلمون كبروا وكبر رافع .. »

« ثم قال : احفروا في اصلها .. »

« فحفروا فنبع الماء .. وشربوا حتى روي الناس ، واتصلت

بعد ذلك المنازل .. »

« وهذه المفازة التي غامر خالد بنفسه وجيوشه في قطعها

من العراق إلى الشام ليخرج على الروم ، فلا يجبسه دونهم شيء ،
هي المعروفة الآن ببادية الشام .. وهي اليوم طريق السيارات بين
دمشق وبغداد ..

قال المرحوم الاستاذ عبد الوهاب عزام :

« وفي هذا الجانب طريق السيارات بين دمشق وبغداد اليوم ،
وهو زهاء ثمانمائة وستين كيلو تقطعها السيارات في عشرين ساعة مع
الاستراحة ..

« وهي البادية التي اخترقها سيدنا خالد بن الوليد بجيشه في
السنة الثانية عشرة من الهجرة ..

« إذ سار من العراق مدداً لجيوش العرب في الشام ، فرمى
بنفسه وجيشه في بادية لأماء فيها ، وأتى الروم من مامنهم ، وفجأهم
بما لم يحتسبوا .. وقد قطعها في خمسة أيام .. »

خالد .. يبشر .. جنود الشام ؟

« ورأى إذ ولاة الخليفة الأعظم القيادة العامة .. ووجهه اميراً
على الامراء بالشام .. ان يبعث بكتابين أحدهما إلى عامة المسلمين

بالشام يقول لهم فيه :

« أما بعد .. فان كتاب خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. أتاني بالمسير اليكم ..

« وقد شممت وانكشت^(١) ..

« وكان قد اظلت عليكم خيلي ورجلي .

« فابشروا بانجاز موعود الله .. وحسن ثواب الله ..

« عصمنا الله وإياكم باليقين .. وأثابنا احسن ثواب المجاهدين ، !!

إن خالداً خَلِقَ ليكون قائداً عاماً لاعظم الجيوش ..

إنه يتعجل البشرى لإخوانه بالشام !!

(١) الانكاش : الجد في الأمر والسرعة في طلبه ..

ويقول لابي عبيدة :

انت سيد المسلمين !

وارسل ثانيهما إلى أبي عبيدة خاصة .. وفيه يقول :

د اما بعد .. فاني اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف ..
والعصمة في دار الدنيا من كل سوء ..

د وقد اتاني كتاب خليفة رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم .. يأمرني بالمسير إلى الشام .. وبالقيام على جندها ..
والتولي لامرها ..

د والله ما طلبت ذلك قط ..

د ولا اردته إذ وليته ..

د فانت على حالك التي كانت عليها ..

د لا نعصيك ولا نخالفك ..

د ولا نقطع أمرا دونك ..

د فانت سيد المسلمين ..

« لا ننكر فضلك .. ولا نستغني عن رأيك ..
« تمم الله ما بنا وبك من احسان ..
« ورحمنا واياك من صلي النار .. والسلام عليك ورحمة
الله .. » !!

إن خالداً في حرج .. أن يتامر على أبي عبيدة !!
ولكنه أمر الخليفة !!

وأبو عبيدة يقول : حيا الله خالداً !

ولما قرأ أبو عبيدة كتاب خالد قال :
« بارك الله لمخليفة رسول الله فيما رأي ..
« وحيثما الله خالداً !!

وكان أبو بكر كتب إلى أبي عبيدة يعلمه بتولية خالد الامارة
العامه لظنه انه افطن في الحرب ..

فقال له في كتابه :

- د اما بعد .. فاني وليت خالداً .. قتال العدو بالشام ..
- د فلا تخالفه .. واسمع له واطع امره ..
- د فاني لم ابعثه عليك .. ان لا تكون عندي خيراً منه ..
- د ولكني ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك ..
- د واراد الله بنا وبك خيراً ء !!

*

وانطلق سيف الله .. غوثاً .. لإخوته بالشام ..
واستلم القيادة العامة .. من ابي عبيدة امين الامة ..
فماذا كان ..

وماذا فعل خالد ؟

بطل ...

معركة ...

البرموك؟!!

ليست

عظمة معارك خالد .. انها معارك حربية ..

وإنما انها بعد ذلك معارك لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة
الذين كفروا السفلى ..

هناك كلمة اسمها :

« لا اله الا الله ..

« محمد رسول الله ، ..

يتحتم أن تكون هي العليا ..

وان تكون كلمة الذين كفروا .. مهما تنوعت ، هي السفلى ..

هذه هي عظمة معارك خالد ، ومعارك أصحاب رسول الله ،

صلى الله عليه وسلم .. جميعاً !!

ومن هنا ، ومن عظمة المبدأ الذي ليس كمثل مبدأ ، كانت قوة

خالد ، وقوة الذين معه ..

قوة يعدها الله بمدده الذي لا يتفد ..

بيننا أعداؤهم لا مددَ لهم .. إلا إمكانياتهم المسادية الصماء ..

﴿ ذلك بأنّ الله مولىّ الذين آمنوا .. وأنّ الكافرين لا مولىّ

لهم ﴾ ..

خالد .. يصل ناشراً راية ..

رسول الله ؟

قال ابن الأثير :

« وسار فوصل إلى ثنية العقاب عند دمشق ناشراً رايته ..

« وهي راية سوداء .. وكانت لرسول الله .. صلى الله عليه

وسلم .. تسمى العقاب ..

« ثم سار فأتى مرجَ راهط ..

« ثم سار حتى وصل إلى بُصرى ، فقاتل من بها فظفر بهم ..

وصالحهم ، فكانت بصرى اول مدينةُ فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق .. وبعث بالأخماس إلى أبي بكر .

« ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر ..

« وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يجرضون الروم على القتال .

« وخرج باهان كالمقتدر ، فولي خالد قتاله ..

« وقاتل الأمراء من بازائهم ..

« ورجع باهان والروم إلى خندقهم .. وقد نال منهم

المسلمون .. » !!

كان فيهم ألف صحابي ؟

« فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك ..

« وكانوا سبعة وعشرين ألفاً ، وثلاثة آلاف من فلال خالد بن

سعيد ، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد ..

« فصاروا اربعين ألفاً ..

« سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل ..
« وكان فيهم ألف صحابي .. منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا ..
« وكان الروم في مائتي ألف واربعمين ألف مقاتل ..
« منهم ثمانون ألف مقيّد ..
« واربعون ألف مسلسل للموت ..
« وأربعون ألفاً مربوطون بالعمائم لثلاً يفرّوا ..
« وثمانون ألف راجل ..
« وكان قتال المسلمين لهم على تساند ..
« كل أمير على أصحابه ، لا يجمعهم أحد ..
« حتى قدم خالد بن الوليد من العراق ..
« وكان القسيسون والرهبان يحرّضون الروم شهراً .
« ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادي
الآخرة ..

خالد يخطب في المجموع .

ان هذا يوم من ايام الله ؟

« فلما احسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين ..

« فسار فيهم خالد بن الوليد ، فحمد الله وأثنى عليه

: « ثم قال :

« إنّ هذا يوم من ايام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ..

« اخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ..

« فإنّ هذا يوم له ما بعده ..

« ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية ، وأنتم متساندون فان

ذلك لا يحلّ ولا ينبغي ..

« وإنّ آمن وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ..

« فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترونه انه رأي من واليكم

ومحبّته ..

« قالوا : هات فما الرأي ؟ »

« قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلاّ وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ، لقد جمعكم .. »

« ان الذي انتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من امدادهم .. »

« ولقد علمتُ ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ! »

« فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان لأحد من الأمراء ، ولا يزيده عليه إن دانوا له .. »

« إنّ تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. »

« هلمّوا ، فإن هؤلاء قد تهبوا .. »

« وإنّ هذا يوم له ما بعده . »

« إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم .. »

« وإن هزمونا لم نفلح بعدها .. »

« فهلمّوا ، فلنتعاور الإمارة ، فليكن بعضنا اليوم ، والآخر

غداً ، والآخر بعد غد ، حتى تتأمروا كلكم .. »

« ودعوني أتأمّر اليوم .. »

« فأمروه .. وهم يرون أنها كخرجاتهم .. وأنّ الأمر
لا يطول !!

عبقرية خالد .. في تعبئة الجيوش ؟

« فخرجت الروم في تعبئة لم يرّ الراون مثلها قطّ ..

« وخرج خالد في تعبئة ، لم تُعَيِّبها العرب قبل ذلك .

« فخرج في اربعين كردوساً^(١)

« وقال : انّ عدوكم كثير .. وليس تعبئة اكثر في رأي العين

من الكراديس ..

« فجعل القلب كراديس .. واقام فيه ابا عبيدة ..

« وجعل الميمنة كراديس ، وعليها عمرو بن العاص ، وُشرحبيل

ابن حسنة ..

« وجعل الميسرة كراديس ، وعليها يزيد بن ابي سفيان .

(١) فرقة ..

- « وكان على كردوسٍ ، القعقاع بن عمرو .
« وجعل على كلّ كردوس ، رجلاً من الشجعان .
« وكان القاضي ، أبو الدرداء ..
« وكان القاص أبو سفيان بن حرب ..
« وعلى الطلائع قباث بن أشيم ..
« وعلى الأقباض ، عبدالله بن مسعود ..

خالد يقول :

انما تكثر الجنود بالنصر ؟

« وقال رجل لخالد : ما اكثر الروم واقل المسلمين !
« فقال خالد : ما اكثر المسلمين واقل الروم .. إنما تكثر
الجنود بالنصر ، وتقلّ بالخذلان ، والله لو ددت إن الأشقر - يعني
فرسه - براء من توجيهه وانهم اضعفوا في العدد - وكان قد
حفي في مسيره - !!

خالد يأمر بالزحف !

هذه لحظة من لحظات الله .

ها هنا يُكتب التاريخ من جديد ..

إن خالدًا يأمر بالقتال !

« فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل .. والقمعاة بن عمرو ..

فأنشبا القتال ..

« والتحم الناس ..

« وتطارد الفرسان .. وتقاتلوا !!

بطولة .. فوق بطولة .. الأبطال !

« فانهم على ذلك ، قدم البريد من المدينة ، واسمه كحمية

ابن زَنيم ..

« فسألوه الخبر ، فأخبرهم بسلامة وامداد ..
« وانما جاء بموت ابي بكر .. وتأمير ابي عبيدة ..
« فبلغوه خالدًا ..

« فأخبره خبر ابي بكر .. سرًّا !!

ها هنا بطولة ، فوق بطولة كل الأبطال ..
بينما المعركة على اشدها ..
يأتيه امر الخليفة عمر .. بعزله عن امارة الجيوش .. وتولية
ابي عبيدة ..

فيكتم خالد الأمر ، حتى يتم النصر للمسلمين !
هذه فعلة تحتاج إلى أعصاب ليس كمثليها أعصاب !

هل انزل الله على نبيكم ...

سيفاً من السماء .. فاعطاكه ؟

« وخرج جرجة إلى بين الصّفين ، وطلب خالدًا ، فخرج

اليه ..

« فآمن كل واحد منهما صاحبه ..

« فقال جرّاجة : يا خالد .. اصدقني ولا تكذبني ، فإنّ
الحرّ لا يكذب .. ولا تخادعني ، فإنّ الكريم لا يخادع
المسترسل ..

« هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه ، فلا تسلّه
على قوم إلاّ هزمتهم ؟! »
« قال : لا ..

« قال : ففيم سميت سيف الله ؟

« فقال له : إن الله بعث فينا نبيّه ، صلى الله عليه وسلم ،
فكنتُ فيمن كذّبه وقاتله ، ثم إن الله هداني فتابعته .. فقال :
أنت سيف الله سلّه الله على المشركين ! ودعالي بالنصر ..

« قال : فأخبرني إلى ما تدعوني ؟

« قال خالد : إلى الاسلام أو الجزية أو الحرب ..

« قال : فما منزلة من يُجيبكم ويدخل فيكم ؟

« قال : منزلتنا واحدة .

« قال : فهل له مثلكم من الأجر والدّخر ؟

« قال : نعم .. وأفضل .. لأننا اتبعنا نبينا وهو حيّ يُخبرنا
بالغيب ، ونرى منه العجائب والآيات ، وُحِقَّ لمن رأى ما رأينا
وسمع ما سمعنا أن يُسلّم ، وأنتم لم تروا مثلنا ، ولم تسمعوا
مثلنا ، فن دخل بنية وصدق ، كان افضل منا .

« فقلب جرجة ترسه ، ومال مع خالد ، وأسلم ..

« وعلمه الاسلام ، واغتسل وصلى ركعتين .

« ثم خرج مع خالد ، فقاتل الرومَ !!

قصة رائعة ..

وخالدة من خالديات خالد !!

إن جرجة أحد عظماء قادة الروم ، الذي كان يقود عشرات
الآلاف ، ويقف بها بازاء قوات يزيد بن أبي سفيان ، قبل التعبئة
الموحدة للروم ، ها هو ينقلب مسلماً ، وقد بهرتسه أعاجيب
بطولة خالد .

ولا يفهم بطولة البطل إلاّ من كان في مثل بطولته .

لقد استسلم بطل الروم ، لبطل الاسلام !

مَن يبائعُ على الموت ؟

« وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم إلى المحامية ،
عليهم عكرمة وعمّه الحارث بن هشام ..

« فقال عكرمة يومئذ : قاتلت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
في كل موطن ثم أفرّ اليوم ؟

« ثم نادى : مَن يبائع على الموت ؟

« فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ، في اربعمائة من
وجوه المسلمين وفرسانهم .

« فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، فمنهم
من برأ ، ومنهم مَن قُتل .

« وقاتل خالد وجرجة قتالاً شديداً ..

« فقتل جرجة عند آخر النهار ..

« وصلى الناس الأولى والعصر إيماء ، وتضعض الروم .

« ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ..

« فانهزم الفرسان وتركوا الرّجاله ..

هزيمة الروم ؟

« ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها ، فتفرقت .

« وقتل الرّجاله ، واقتحموا في خندقهم .

« فاقتحمه (خالد بن الوليد) عليهم ..

« فعمدوا إلى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم ..
ثمانون الفاً من المقترنين ، واربعون الف مطلق ، سوى من قُتل في المعركة ..

« وتجلّل الفيقار وجماعة من أشرف الروم برانسهم وجلسوا فقتلوا مستزملين ..

« ودخل خالد الخندق .. وتزل في رواق تدارق ..

« فلما أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحاً ، فوضع رأسه على فيخذه .

« وبعمر و بن عكرمة ، فجعل رأسه على ساقه ومسح وجهيهما ،
وقطر في حلقيهما الماء وقال :

« زعم ابن حنينة - يعني عمر - أنا لا نستشهد !

« وقاتل النساء ذلك اليوم وأبلسن !!

... ٣ شهيد .. من المسلمين ؟

قال عبدالله بن الزبير :

« كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبي لا اقاتل ..

« فلما اقتتل الناس نظرتُ إلى ناس على تلّ لا يقاتلون ،
فركبتُ وذهبتُ اليهم ، وإذ أبو سفيان بن حرب ومشيخة من
قريش من مهاجرة الفتح ، فأروني حدثاً فلم يتقوني ..

« قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الروم
يقولون : إيه بني الأصفر ! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون
قال : ويح بني الأصفر !

« فلما هزم الله الروم اخبرتُ أبي فضحك فقال : قاتلهم الله !

أبوا إلاّ ضغنًا ، لنحن خير لهم من الروم !

» وفي اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب ..

« ولما انهزمت الروم كان هرقل بجمص ، فنادى بالرحيل عنها قريباً ، وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميراً ، كما أمر على دمشق ..

« وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف ..

« منهم عكرمة وابنه عمرو ، ..

٣٠٠٠ شهيد من المسلمين ..

فكم كان قتلى الروم !؟

٨٠٠٠٠ من المقتربين .

٤٠٠٠٠ مطلق .

١٢٠٠٠٠ قتيل من الروم ..

سوى من قتل في المعركة !

شيء عجيب ، كل قتيل من المسلمين يقابله نحو خمسين قتيلًا من الروم !

تفاصيل عند الرواة ؟

قال الراوي :

قال الطبري وتابعه ابن الأثير :

« فانهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول ،
وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم إلاّ بسلامة ، وأخبرهم عن أمداد ،
وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة .. فأبلغوه
خالداً ، فأخبره خبر أبي بكر سره اليه ، وأخبره بالذي أخبر
به الجند ..

« فقال له خالد : أحسنت .. فقف ..

« واخذ الكتاب وجعله في كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك
أن ينتشر له أمر الجند ، فوقف محمية بن زعيم - وكان هو الرسول -
مع خالد ..

« والذي نلاحظه أن الخبر بموت أبي بكر ، وعزل خالد عن
الامارة العامة على جند الشام ، وتولية عمله وإمارته ابا عبيدة
ابن الجراح .. وصل إلى علم خالد اول الناس ، والقتال بين المسلمين

والروم على أشد ما يكون قتال بين جيشين أجمع كل جيش منهما على افناء عدوه .

« فما الذي كان من خالد وهو القائد المعزول ، وفي يده زمام المعركة ؟

« لقد استحسن عمل الرسول الذي حمل اليه كتاب عزله في كتابه هذه الانبياء عن خاصة الناس وعامتهم ، حتى أبلغ الكتاب اليه ، فجعله خالد في كتابته ..

« فأي قوة نفسية هذه التي مكنت خالدًا من ضبط أعصابه بعد إذ عرف أنه معزول عن الامارة ، ومؤمر عليه بعد أن كان أميرًا ليس فوقه أمير ، والنصر بين يديه ، لو شاء لأدار به وجهه التاريخ !»

« وانتهت هذه الانبياء إلى خالد فكتبها حتى انتهى بالمعركة إلى نهايتها العظيمة .

« فأسلم زمام القيادة العامة إلى القائد الجديد أمين الامة . . .
ابن عبيدة بن الجراح . . .

« وعاد خالد يعمل تحت لوائه ، قائد فرقة في الموضع الذي كانت عليه ابو عبيدة . . . » 11

ابو عُجَيْدَة ...

وزيراً للمالية ...

في عهد أبي بكر ..؟!؟

من

المشهور ..

أن الخليفة الأول .. أبا بكر الصديق .. كانت وفاته .. لثماني
ليال ، بقين من جمادي الآخرة ..

« وهو ابن ثلاث وستين سنة ..

» وكانت خلافته سنتين .. وثلاثة أشهر .. وعشر ليال » ..

ومن المعلوم تاريخياً أنّ أبا بكر . وجه الجنود إلى الشام في
سنة ثلاث عشرة ..

وكان أبو عبيدة بن الجراح .. فيمن وجهم الخليفة الأول
إلى الشام ..

قال ابن الأثير :

« ثم إنَّ أبا بكر استعمل أبا عبيدة بن الجراح ، على مَنْ
اجتمع .. وأمره بجهنم .. وسار أبو عبيدة على باب من البلقاء ،
فقاتله أهله ثم صالحوه .. فكان أوَّل صلح في الشام » ..

فأين كان أبو عبيدة من الأحداث ، قبل أن يختاره الخليفة
قائداً للجيش المرسل لفتح الشام إذا اجتمعت !؟

كان إلى جوار الخليفة ، في هيئة الخلافة العليا .. يُستشار في
أمور الدولة ويُشير .. وينصح ويُسمع له .. فهو أمين الأمة ..
والجميع يقرُّون له بذلك الفضل ..

وقد رأينا في فصل سابق ، كيف جَمَعَ أبو بكر ، وجوه
الصحابة واستشارهم في تجهيز الجنود إلى الشام ..

.. وأنَّ أبا عبيدة كان من هؤلاء العظماء .. الذين هم هيئة القيادة
العليا ..

« روي : أن أبا بكر ، لما أراد أن يجهز الجنود إلى
الشام ..

« دعا عمر .. وعثمان .. وعلياً .. وعبد الرحمن بن عوف ..
وطليحة .. والزبير .. وسعد بن أبي وقاص ..

« وأبا عبيدة بن الجراح ..

» ووجوه المهاجرين والأنصار ، من اهل بدر وغيرهم ..

» وشاورهم ، وكلهم استصوبوا رأي أبي بكر .. الخ ..

وهكذا كان أبو عبيدة في موقعه الطبيعي من القيادة العليا

للدولة ..

فهل كان مستشاراً فحسب ، أم كان له عمل آخر ؟

قال ابن الأثير :

» لما ولي أبو بكر ..

» قال له أبو عبيدة : انا اكفيك المال ..

» وقال له عمر : انا اكفيك القضاء .

» فكث عمر سنة لا ياتيه رجلان .

» وكان علي بن أبي طالب .. يكتب له .. وزيد بن ثابت ..

وعثمان بن عفان ..

اي أن أبا عبيدة ، كان وزيراً للمالية ، في عهد أبي بكر ،

إلى جوار عمله كمستشار للخليفة ..

ثم ترك هذا العمل ، وخرج على رأس قواته إلى الشام ..

وإذا تأملنا كلمته :

« انا اَكْفِيكَ المال » ..

لاحظنا أنه اختار بالفطرة ، ما يناسب صفة الأمانة

« الامانة » ..

وانه كان .. اميناً .. حقاً .. أميناً !!

امين الامة ...

ابو عبيدة بن الجراح ...

قائداً عاماً ..

المفوات الاسلامية المسلحة؟!!

إن تولى عمر الخلافة ، حتى سارع إلى عزل خالد بن الوليد -
 قائد عام القوات الاسلامية المسلحة بجبهة الشام - وسيف الله
 المسلول ، والرجل الذي تعلقت الجماهير بانتصاراته الخارقة !!
 وكتب عمر منشوراً يذاع في الامصار والبلدان ، ذكر فيه أنه
 لم يعزل خالداً ، عن سخطه ولا عن خيانه ، ولكن الناس فتنوا به ،
 فخشي أن ياكلوا اليه ويبتلوا ..
 فأحب أن يعلموا ان الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا عرضة
 للفتنة به .. وينسبون النصر اليه ..
 وما النصر إلا من عند الله ..

اوامر الى القائد العام الجديد ..

وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ، غداة قبض أبو بكر يخبره بوفاة الخليفة .

ثم كتب بعزل خالد ، وتولية أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه ، وان يكون خالد ، امير اللواء الذي كان أبو عبيدة أميره .

وأصدر عمر اوامره وزواجه إلى أبي عبيدة ، في كتاب توليته ..

فماذا قال للقائد العام الجديد ؟

« لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مآثاه ، ولا تبعث سرية إلا في كنف من الناس .

« وإياك والقاء المسلمين في هلكة !

« وقد أبلاك الله بي ، وابلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها .

« وإياك ان تهلكك ، كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيتم

مصارعهم ! ،

تالله إن هذا لشيء عجاب !

إن عمر يامر أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة احد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد الأصحاب
السابقين ، وامين الامة .

يقول له عمر : غمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ؟!

أوفى شك انت من صاحبك يا ابن الخطاب ؟

كلا .. إنما هي الأخوة المؤمنة ، تخاف على صاحبها ، فتنصحه
لله ، وتوجهه لله !!

ولو أنك قرأت وصية عمر لقائده العام ، لرأيتَه يبدأ بها
عسكرية صريحة ، يرسم له الخطة ، ويبين له التكتيك ، ثم ينتهي
بها رسالة في التربية ، والتوحيد الرباني !

وهكذا كان هؤلاء الناس ، عسكريين من الطراز الاول ، ثم
ربانيين من الطراز الاول كذلك .

وهذا ينبغي ان يكون منا ، في عصرنا الحديث ، ينبغي أن
نوجه جيشنا بكافة مستوياته نحو الله ، ونحو مثلنا العليا ، وذلك
كله إلى جوار ما يتعلمون من دروس العسكرية وفنونها .

ومتى اجتمعت للجيش قوة الروح ، وقوة السلاح ، فهو الجيش
الذي لا يقهر ، باذن الله ..

ثم ماذا ؟

ثم ها هو القائد العام المعزول - خالد بن الوليد - يعمل بنفس
الكفاءة والاخلاص ، وهو يقاتل تحت إمرة القائد العام الجديد ..
أبي عبيدة بن الجراح ..

كل يحترم اخاه ويُوقِّره ..

وكلٌ يعمل لوجه الله !

ابو نعيرة ..

يفتح دمشق ..

ومعه خالد بن الوليد ؟ !

ماذا في الجبهة الغربية ؟

نذكر أن خالد بن الوليد ، انتصر على الرومان ، نصره الساحق في معركة اليرموك .

وأن عمر ما إن تولى الخلافة ، حتى سارع إلى عزله وهو في أوج انتصاره ، وتولية أبي عبيدة قائداً للجبهة الغربية .

نذكر ذلك ونحن ندخل إلى الجبهة الغربية ، لننظر ماذا تعمل القوات الاسلامية المسلحة فيها ؟

وبعث ابو عبيدة يسأل امير المؤمنين رأيه فيما يفعل بعد نصر اليرموك ..

ورد عمر عليه :

« أما بعد .. فابدعوا بدمشق ، فانهدوا لها ، فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيلٍ ، تكون بازائهم في نحورهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب ، وإن تأخر

فتحتها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزله بدمشق من يمسك بها ،
ودعوها ..

« وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان
فتح الله عليكم ، فانصرف انت وخالد إلى حمص ، وضع شرّ حبييل ،
وعمرأ بالأردن وفلسطين » .

وقرأ أبو عبيدة كتاب عمر ، وتفكر في الخطة العسكرية
البارعة التي أمره بها ..

دمشق تستسلم !

وعلى الفور ، انطلق هو وخالد بن الوليد ، في قوة الجيش
الكبرى يقصدون دمشق ، عروس الشام

وكانت أسوار دمشق مضرباً للمثل في التحصن والمنعة .

وكانت دمشق كلها قلعة واحدة ، ذات أبراج في كل نواحيها ،
فلم يكن لها جبهة سبيل إلا بعد حصار طويل .

وطالت مقاومة دمشق ، وطال حصار المسلمين إيّاهم ، وضيق

المسلمون عليهم الحصار ، وانقضى الشتاء ، واقبل الربيع ، والعرب
على حصارهم لا يرمون عنه .

وبدأ اليأس يتسرب إلى نفوس الدمشقيين ..

وكان خالد بن الوليد قائد القوات المقيمة على الباب الشرقي ،
يقظاً لا ينام ولا ينام ، وكانت له عيون زاكية ، فلا يخفى عليه مما
يجري في دمشق شيء .

ونقلت اليه مخابراته يوماً ، أن بطريك المدينة ولد له ولد فرح
به ، فأولم للناس .

فأكل الجند وشربوا وغفلوا عن مواقعهم .

وكان خالد قد اتخذ جبلاً كهيئة السلام ، فلما أدرك الليل اعجازه
نهد هو وجنده الذين قدم بهم من العراق ، وقال لهم : إذا سمعتم
تكبيرنا من السور فارقوا الينا .

ثم تقدمهم ومعه القعقاع بن عمرو ، ومدعور بن عدي ، واملهم
من الشجعان المغاوير ..

فعبروا الخندق عائمين على القرب ، واثبتوا حبالهم في شرف
السور ، وتسلقوا سلاليمها .

حتى إذا ارتقوا على الجدار ، جذبوا بعض الحبال ، وأثبتوها
في الشرف التي تلي داخل المدينة والقوها .

فانحدر خالد ، وطائفة ممن معه ، ونزلوا أمام الباب ، فعالجوا
فتحه بسيوفهم .

وكبر إخوانهم الذين أقاموا بأعلى الجدار .

فلما سمع رجال خالد تكبيرهم ، أسرعوا يعبرون الماء ، ويتسلقون
الجبال إلى زملائهم فوق السور .

فاجأ خالد حراس الباب ، وهم في غفلتهم فقتلوهم ، وفتحوا
أغلاق الباب بالسيوف ..

فدخل منه من لم يرق إلى أعلى السور ، واندفعوا داخل المدينة
يكبرون .

وفزع الناس في سائر أرجائها ، وانتشر بينهم خبر المسلمين ،
واقترحاهم الباب الشرقي وقتلهم من قابلهم .

عند ذلك أسرعوا إلى سائر الأبواب ، ففتحوها وصالحوا
أبا عبيدة ، فأمّنهم ، ودخل من باب الجابية ، ولا علم له بما
فعل خالد !

فلما عرف ما يجري من سفك الدماء ، بعث إلى خالدان يكف
عن القتال ، فقد صالح الناس وأمّنهم .

فلم يكن بدُّ لخالد من أن يسمع لأمره .

وهكذا تم فتح دمشق الخالدة ..

ومن يومها ودمشق إحدى عواصم الإسلام الكبرى !
وفرض الصلح على أهل دمشق جزية ، يدفعونها لقاء منعهم ،
وحرية عقيدتهم ، وحماية مدينتهم واموالهم .
وكانت هذه الجزية ديناراً ، وكيلاً معيناً من الخنطة على كل
رأس ، وزيتاً ، وخلاً لقوت المسلمين .
هذا خلا الضرائب التي كان الدمشقيون يدفعونها لحكامهم من
الروم ..
فقد ظلوا يدفعونها لمن قام على حكمهم من المسلمين .

دمشق تحت الحكم العربي ؟

واستقر المسلمون بعاصمة الشام ، وجلت عنها حامية هرقل ،
وجلا عنها المتعصبون للروم من اهلها .
فماذا كانت سياسة المسلمين في إدارتها ؟
نفس السياسة التي رسمها أبو بكر في عهده ، حين بعث خالد
ابن الوليد يفتح العراق .

تركوا لأهل دمشق ما كان لهم من إدارة مدينتهم ، واقاموا الأمر فيها على الأساس الذي صوره خالد في كلمته لبعض أهل العراق :

« إن كنتم عرباً فماذا تنقمون من العرب ؟ وإن كنتم عجماً ، فماذا تنقمون من الانصاف والعدل ؟ »

هذا هو الأسلوب السياسي الحكيم الذي حكم به أولئك الأماجد البلدان المفتوحة ..

إحدى اثنتين .. إما أنكم عرب ، فنحن إخوة ، لا ننقم حكم أنفسنا لأنفسنا .. وإما أنكم غير عرب ، فنحن نحكمكم بالانصاف والعدل .

الانجيل والقرآن في معبد واحد !

وكان هناك جانب من دمشق فتح عنوة فكان كله حقاً للمسلمين ..

على حين فتح جانب منها صلحاً ، فوجبت عليه الجزية دون

سواها ..

ولذلك أخذ المسلمون نصف ما في المدينة من كنائس ومنازل
وأموال بحكم الفتح صلحاً .

وتقاسم المسلمون مع اهل المدينة الكنائس والمنازل والأموال .

فاخذ المسلمون سبع كنائس من الكنائس الأربع عشرة القائمة

بدمشق ..

وقسموا الكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس يوحنا المعمدان ،
فتركوا نصفها للنصارى يقيمون فيه صلواتهم ، ويتلون فيه
الانجيل ..

وجعلوا النصف الآخر مسجداً للمسلمين يتلى فيه القرآن ، ويذكر
فيه اسم الله ، وينادي من فوقه للصلاة !

وظلت هذه القسمة العجيبة نحواً من ثمانين سنة !

حتى صالح عمر بن عبد العزيز نصارى دمشق على أن يعطوهم
جميع كنائس الغوطة ، ويتركوا ما كان لهم من كنيسة يوحنا .

فرضي النصارى ..

وأقر عمر بن عبد العزيز هذا الاتفاق !

حادثة عجيبة ..

وأعجب منها أن تنشطر الكنيسة شطرين ، شطر مسجد ،
وشطر كنيسة .. وأن تؤدي عبادات الاسلام في هذه ، وتؤدي طقوس
النصارى في تلك !

مبنى واحد ، فيه دينان عالميان !

وذلك أسلوب من سياسة عمر بن الخطاب الدولية ، تلك السياسة
التي بلغت الغاية من سمو العقائد ، وحرية العبادة ، وحرية
الحياة !

كان يمكن أن يقهر الغزاة أهل دمشق على ما يريدون ، وأن
يجعلوا الكنيسة كلها مسجداً ..

ولكن أصحاب رسول الله .. ليسوا كذلك ، إنهم أصحاب
رسالة سماوية ، تؤمن بحرية العقيدة ، وحرية الانسان !

وأعجب من هذا ، وأعجب أن يظل ذلك الاتفاق محترماً ،
ونافذاً ، ثمانين سنة !

★

الضرائب بنسبة رأس المال !

وأبلغ أبو عبيدة عهد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب اليه بتعديله .

وذلك بأن فرّق بين الطبقات في الجزية ، فجعلها على قدر غنى الغني ، وإقلال المقل ، وتوسط المتوسط .

هذا ما أمر به عمر أبا عبيدة قائد عام الجبهة الغربية .

وهو يدل دلالة قاطعة على تمكن حاسة العدل من نفس عمر .

إنه أرى أن يسوي بين تبعات الأغنياء والفقراء ، في دفع الضرائب .

وإنما فرضها بنسبة رأس المال ، وجعلها ثلاث شرائح .

شريحة الاغنياء ، شريحة الطبقة المتوسطة ، وشريحة الفقراء .

وعمر في هذا فوق ما قرره من عدالة فرض الضرائب ، يعتبر

أسبق إنسان إلى عدالة الضرائب .

تحرك بعض القوات الى الجبهة الشرقية ؟

وكان مما حوى الكتاب الذي ارسله عمر إلى ابي عبيدة ،
بتعديل فئات الجزية ، أمراً اليه برد القوات التي جاءت من العراق
مع خالد بن الوليد ، لتعزيز جبهة الشام ، إلى العراق ثانية ، على أن
يظل خالد بالشام .

وعلى الفور أمر أبو عبيدة ، هاشم بن عتبة على جند العراق
وجعل معه القعقاع بن عمرو ، وامثاله ، من اولى النجدة والبأس ،
وعوضهم عن استشهدوا في وقائع الشام جنداً ، يعدل الجند الذي
جاء من العراق عدداً وقوة .

وخرجوا جميعاً يقصدون المثني وقواته بالعراق .



ابادة ٨٠ الفأ ١٤

انطلقت قوات المسلمين بالشام - الجبهة الغربية - لتخوض معركة ثانية مع قوات الرومان .

وسارت هذه القوات جميعاً ، فعبرت اليرموك ، حتى إذا بلغت فحل ، عسكرت بها ، فوقفت امام الرومان ببيسان .

وكان الرومان امامهم يقفون في ثمانين الفاً ، اشد ما يكونون حرصاً ، على أن يظفروا بأولئك الذين قضوا على قواتهم باليرموك ، وفتحوا عليهم دمشق .

ولما طال وقوف المسلمين عند فحل ، خيل إلى قائد هرقل على قواته العظيمة ، أنه يستطيع أن ييغت المسلمين ، ويقضي عليهم ، وهم على غفلة !

فلما اقبل الليل ، تخطى بجيوشه مكاناً مناسباً للعبور ، وقد تاكد عنده أن المسلمين قد أمنوه ، فهم على غير استعداد للقتال .

إلا أن شرحبيل - قائد قوات المسلمين - كان رجلاً علمه

القرآن الحذر ، وكان رجاله كلهم ذلك الرجل الحذر اليقظ ، الذي لا يأمن مجيء الرومان في أي وقت من الأوقات .

وكان شرحبيل لذلك لا يبیت ولا یصبح ، إلا على تعبئة تامة .

فما أن هجم الرومان هجمتهم ، حتى تلقاهم المسلمون ، وقاتلوهم أشد القتال !

واستبسل الرومان مستقتلين ..

وطالت المعركة الليل كله ..

واستمرت اليوم الذي يليه إلى الليل .

فلما أظلم الليل خارت قوى الرومان ، فاضطربت صفوفهم ، فانهمزوا وهم حيارى ، بعدما أصيب قائدهم ، ومن معه من القواد ..

وانطلقوا يفرون ، فتلقتهم الأرض الموحلة ، فتعذر عليهم السير فيها ..

ولحق بهم المسلمون ..

وكانوا يظنونهم ينسحبون على نظام ، فاذا هم في اضطرابهم لا يستطيعون سيراً ولا فراراً .

وركبهم المسلمون ، فوخزوهم بالرماح ، والقوهم في الوحل ،
وقتلوهم شر قتلة .

فقتل الثانون الفأ ، من الرومان .. لم يفلت منهم إلا الشريد !
وكذلك انتصر المسلمون نصراً عظيماً ، وغنموا غنائم
عظيمة !

وكتب أبو عبيدة إلى عمر ، امير المؤمنين ، يبشره بالنصر ،
وبأنه سيسير ومعه خالد بن الوليد إلى حمص .
تلك هي معركة بيسان .. التي اييد فيها ثانون الفأ من
الرومان .

فماذا نستنبط منها ؟

يجب علينا دائماً ان نحذر اعدائنا ، وان لا نغفل لحظة من
نهار أو ليل .

وأن نكون على أسلوب آباثنا من اليقظة والحذر .

فلو ان الرومان فاجأوا المسلمين وهم غافلين ، لأبادوهم إبادة
تامة ، ولكنهم وجدوهم على استعداد للقتال ، فانقلبت المعركة
وبالآ عليهم .

لذلك ينبغي ان نكون دائماً في حالة « انتباه » .. ليس فقط
القوات العسكرية ، وإنما كل الأمة ، قادة وشعباً ..

يجب أن نكون على حذر ، وأن نستعد للعدو ..

ولنذكر قول الله تعالى :

﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وَاذِّ اللّٰهِن كَفَرُوا لَوْ تَفْقَلُون
عَن اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتَعَتِكُمْ فَيُهَيِّلُونَ عَلَيَكُم مَّيْلَةً وَّاحِدَةً ﴾ .

ثم ماذا ؟

ثم علينا ان نشمخ بانوفنا إلى السماء ، إذا قام في الدنيا من يفاخر
بإجاده ..

نشمخ ونقول :

ها هي معركة بيسان .. ابدنا فيها ثمانين الفا من الرومان ا

سياسة المسلمين العليا

وتتابعت البلاد ، بعد معركة بيسان ، وهزيمة الرومان الساحقة
فيها ، تستسلم للفاتحين .

فطلبت طبرية الصلح إلى القائد العربي ، على أن يدفعوا الجزية

ديناراً عن كل نفس كل سنة ، وكيلاً مُعيناً من البُرّ ، عن كل قدر
معين من الأرض .

واحتذى مثالهم كثير من البلاد .

وخضعت الأرض لسلطان المسلمين .

فماذا كانت سياسة الفاتحين في تلك البلاد ؟

اقاموا الجند في المدينة ..

ثم تركوا لأهلها إدارة شؤونها ، على ان يتولوا هذه الإدارة بالعدل
والانصاف ..

وتلك هي السياسة العليا للدولة الاسلامية في البلاد المفتوحة ..

لأنهم جاءوا اليها دعاة لا فاتحين ..

وهداة لا مستعمرين .

فان اسلموا ، كان لهم ما للفاتحين ، وعليهم ما على الفاتحين ،
امة واحدة .

وإن أتوا ، فالجزية ..

وهي ضريبة دفاع بلغة العصر الحديث ، يستعين بها المسلمون
على نفقات الجيوش ، التي تحمي تلك البلاد ، وتقر الأمن فيها ..

ويترك ما سوى ذلك، من الحكم الداخلي لأهل البلاد ، فهم ادرى
بما فيها .

سياسة بسيطة .. إلا انها عالية ، رفيعة ، ادت في النهاية إلى
استسلام تلك البلاد ..

ثم إسلامها عن طواعية ا

القائد العام الجديد...
« أبو عبيدة »

والقائد العام السابق...
« خالد »

يتسابقان الى النصر!؟

فرار امبراطور الرومان !

في الوقت الذي أتم فيه سعد بن أبي وقاص تدمير الامبراطورية الفارسية ، وانصرفت الدولة الجديدة تنظم شئون الامبراطورية المتداعية المتلاشية ..

كان ابو عبيدة بن الجراح وزملاؤه بالشام يتقدمون فيه ويفتحمون مدنه ، ويحلمون الروم عنه ..

واندفعت جيوش المسلمين تفتح الشام شمالاً وجنوباً وشرقاً .

وسار ابو عبيدة من اللاذقية - بعد أن فتحها - إلى معرّة حمص ففتحها ، ووجه خالد بن الوليد منها إلى قنّسرين كورة ولاية حلب .

وخرج ميناس ، اعظم رجل في المملكة بعد هرّقل ، على رأس جيش عظيم ، ليصد المسلمين عن التوغل في ملك قيصر .

وبعث رجالاً من أهل ثقته يتنطسون اخبار عدوه ليدير على
ضوءها خطة لقائه .

وبينا هو يتنسم أخباره .. فجاه خالد مع الصبح ، من حيث
لا يدري .

وحاول ميناس أن يصد هذه المفاجأة .. ولكن خالداً كان قد
أحكم تدبيره ، فهاجم الروم بكل قوته ، فلم يستطيعوا الصبر
أمامه !

وحاولوا الفرار ، فإذا خالد قد أخذ عليهم مسالكه ، فامعن
جنده فيهم قتلاً ..

فات أكثرهم على دم واحد .. وتردى ميناس على رأسهم يتخبط
في دمه !

لو كنتم في السحاب ؟

ولجا الذين فروا إلى قنسرين وتحصنوا بها ، فتبعهم خالد إليها ،
فالفاهم غلقوا أبوابها .

عند ذلك بعث اليهم خالد التذير يقول :

« لو كنتم في السحاب ، ملحننا الله اليكم ، أو لأنزلكم الينا ، ا
وقاومت المدينة زمناً ، ثم تضعضعت أمام خالد بن الوليد ،
ونزلت على حكمه .. وبعثوا يطلبون الأمان على صلح حص .
فأبى سيف الله المسلول ، ورأى أن يعاقبهم ، بما قاوموا ، وأبى
إلا تخريب المدينة ..

فماذا كان من أهلها ؟

فروا إلى انطاكية ، تاركين أموالهم ونساءهم وأبنائهم ..
وهكذا كان خالد بن الوليد ، وكان الذين معه ، ما دخلوا معركة
إلا انتصروا فيها ، لأنهم صدقوا الله ، فصدقهم الله .

أمير خالد نفسه ا

وكتب ابو عبيدة إلى عمر ، بأعاجيب خالد بن الوليد ..
وقضائه على ميناكس وجيشه ..
واقحامه قنسرين على منعته .

وقوله لأهلها :

« لو كنتم في السحاب لحلنا الله اليكم ، او لأنزلكم الينا .. »

وعجب عمر من عبقرية خالد الحربية ، وشجاعته الفائقة ، وما كان منه من معجزات ، فاقت مواقفه في دمشق وحمص ، وما سواهما من البلاد التي فتحتها المسلمون .

وقال عمر :

« أمر خالد نفسه ا يرحم الله ابا بكر ا هو كان أعلم بالرجال مني ا ، »

ثلاث تعبيرات متواليات غاليات .. كأننا ينطق عمر بالحق متتابعاً !

أمر خالد نفسه ؟

اعتراف من عمر أن خالد إن لم يؤمره ، ففعاله تؤهله لأن يكون اميراً على اي جيش هو فيه .

يرحم الله ابا بكر ؟

ود وصفاء وحب لمن سبقه في الحكم .. أين هذا الخلق من اخلاق ساسة العصر الحديث ، حين يقف الرجل منهم يكيل الشتائم ، ويسب

من سبقه سباً اليماً ؟

كان أعلم بالرجال مني ؟

ثم تواضع عجيب من عمر .. حين يتهم نفسه بالجهل بأقدار
الرجال ، ويعترف أن أبا بكر أعلم منه بالرجال !

وهذه هي الاخلاق ..

ولمثل هذا فليعمل العاملون ..

وليست الاخلاق ، أن تسب من سبقك في الحكم ، او تبني مجدك
على أشلاء غيرك ..

كلا .. إنما الاخلاق أن تحب الناس ، وتعترف بحسناتهم ،
وتتواضع لهم ، ثم تحاول أن تبني جديداً ، أو تتم ما بدءوه من
أنواع الخير .

ابو عبيدة ينشر العدل والرحمة ؟

فلما جاء أبو عبيدة قنسرين ..

وعرف ان اهلها طلبوا الصلح والامان ، وان خالداً أبى ذلك

عليهم .. رأى فيما أراد خالد ان يجزيهم به عدلاً .. فهدم حصون
المدينة واسوارها .

إلا ان ابا عبيدة دائما تسبق رحته غضبه ، فرأى ان يقرن
إلى العدل الرحمة ..

فاجاب اهل المدينة إلى الأمان والصلح الذي طلبوا ..

فاقيم مسجد على بقعة من أرضها ، وترك ما سوى ذلك لأهلها
كما كان !

فعاد الذين فروا ، وقد رضوا أداء الجزية .

وامر أبو عبيدة فأحسن معاملتهم ، كما أحسنت معاملة غيرهم
في البلاد التي فتحها المسلمون .

وقام العدل بينهم على أساس من المساواة الصحيحة ، وإنصاف
الضعيف من القوي .

ثم اتجه ابو عبيدة إلى حلب ، ففتحها هي الاخرى ..

وهكذا دخلت سوريا بمدنها الشهيرة ، تحت حكم الإسلام ، ونعمت
هي الاخرى ، بظلاله الوارفة .

أبو عبيدة يفتح انطاكية !

وكانت انطاكية إلى يومئذ عاصمة الامبراطورية الرومية في الشرق ، والمدينة التي تلي فيها مدينة قسطنطين .

وكان اباطرة الروم يؤثرونها على الاسكندرية لقربها منهم .. وكانت الكنائس المسيحية فيها ذات ضخامة وفخامة ، وبلغ ساكنوها مائة الف نسمة .. وكانت مستقر تجارة عظيمة متصلة بين الشرق والغرب ..

من اجل ذلك كان عمر حريصاً على فتحها ، وكان الاستيلاء عليها يعادل فتح المدائن ، وفتح بيت المقدس .

لذلك كان يتلطف على انبائها ، كما كان يتلطف على انباء سعد بن أبي وقاص عن القادسية ..

ولكن هل فكر امبراطور الرومان في الدفاع عنها ، ضد المسلمين الذين يتجهون اليها ؟

كلا .. فقد أثرت الهزائم المتلاحقة في نفسه ، ورأى أنه إذا التقى بالمسلمين في معركة أخرى ، فهي الهزيمة ، والعار إلى الأبد .

فترك المدينة الخالدة ، انطاكية ، ثاني عواصم الامبراطورية ،
تدافع عن نفسها .. وفر هو إلى القسطنطينية ، عاصمة ملكه ، حزينا
مهموماً كثيراً !

وسار إليها ابو عبيدة ، وخرج اليه اهله ، فهزمهم في معركة
حامية ، خارج حصونها ، ثم حاصرها من كل جوانبها .. فاستسلمت
له ونزلت على حكة .. وصالحهم ابو عبيدة على الجزية والجلد ،
ورحل عنهم ..

وهكذا سقطت أنطاكية .. العاصمة الثانية للامبراطورية
الرومانية !

وأصبحت سوريا كلها جزءاً من الدولة الاسلامية ..

الامبراطور يفر امام ابي عبيدة !

وبينا كان هرقل يفر إلى القسطنطينية ، حرصاً على حياته ،
كانت الامبراطورية تتساقط قطراً قطراً في أيدي المسلمين ..
مر بجبل فصعده ، وأشرف منه على أرض سورية الجميلة ، وقال

والهم يقتله :

- سلام عليك يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولن يمود اليك
رومي أبداً إلا خائفاً !!

تماماً كما فر امبراطور فارس امام سعد بن ابي وقاص .. ما هو
امبراطور الرومان يفر امام ابي عبيدة ..

إمبراطوريتان ، عظيمنتان ، وكتلتان تمثلان العالم كله ، تفران
أمام العرب ، الذين لا يملكون شيئاً مما تملكان !
إنه الروح الجديد ، الذي انبعث في هؤلاء الناس !

عمر يسوي بين الملوك والصعاليك !

رأى جبلة بن الأيهم مصير هرقل ، ورأى قبائل العرب من
أهل الشام ، يهرع الكثير منهم إلى الاسلام ، فأيقن أن لا بقاء للملكه
إلا أن يسلم ويسلم ذووه معه .

وكتب إلى ابي عبيدة باسلامه ، واسلام بني غسان ، فاغتبط
امين الامة ، وأبلغ النبا امير المؤمنين ، فاغتبط عمر لذلك .

ثم إن جبلة كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه فأذن له .
فخرج إلى المدينة في خمسمائة من أهل بيته ، وأمر عمر الناس
باستقباله ..

فلم يبق بالمدينة بكر ولا عانس إلا تبرجت وخرجت تنظر إلى
جبلة وإلى زيه

وكان جبلة قد أمر مائتي رجل من أصحابه ، فلبسوا السلاح
والحرير ، وركبوا الخيول ، معقودة أذناها ، والبسوها قلائد الذهب
والفضة ..

ولبس جبلة تاجه ، وفيه قرطاً مارية جددته .
وأعجب أهل المدينة بذلك كله .
فأما انتهى جبلة إلى عمر ، رَّحِبَ به ، ولَطَفَ له ، وأدنى
بجلسه ..

وأقام جبلة بالمدينة زمناً ..
ثم خرج إلى الحج مع عمر ..
فبينما هو يطوف بالببيت ، وطىء إزاره رجل من بني فزارة ،
فانحنى فرفع جبلة يده فهشم انف الفزاري .
واستعدى الرجلُ عمر .

فدعا جبلة وسأله

فاقرّب بما حدث ..

قال عمر : « قد أقررت ، فلما أن ترضي الرجل ، وإما ان
أقيدته منك » .

وتعجب جبلة مما سمع وقال : « وكيف ذلك وهو سوقة ،
وأنا مملك ؟ »

قال عمر : « إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضلهُ بشيء ،
إلا بالتقى ، والعافية » .

قال جبلة : « قد ظننت يا امير المؤمنين ان اكون في الإسلام
أعزّ مني في الجاهلية » .

قال عمر : « دَعُ عنك هذا ، فإنك إن لم ترضِ الرجل ،
أقدته منك » .

قال جبلة : « إذا اتنصّر ! » .

قال عمر : « إن تنصّرت ضربت عنقك ، لأنك اسلمت ، فإن
ارتددت قتلتك » .

فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : « انا ناظر في هذا
ليلتي هذه » .

وكان قد اجتمع بباب عمر من شتى الأحياء خلق كثير ..
يعجب بعضهم لحزم عمر ، ويرى بعض فيه شدة ما أغناه عنها .
ويلعب من اختلافهم أن كادت تكون بينهم فتنة .
فلما أمسوا تفرقوا ..

وأذن عمر لجبله في الانصراف .

وأسرّ جبله إلى رجاله ، فتحملوا بليل إلى الشام ، فأصبحت
مكة منهم خالية !

وتابع جبله مسيرته إلى القسطنطينية .. فدخّل على هرقل
متنصراً هو ومن معه ..

فسرّ بهم هرقل ، وظن أنه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعهم
حيث شاء ، وأجرى عليه ما شاء .

وعاش جبله في جوار هرقل عيش ترف ولذة ، يعادلان ما
كان له في ملكه بالشام أو يزيدان عليه !

*

تلك هي أقصوصة الرجل ، وإنما لعظيمة الدلالة ، بالنسبة لما
يعانيه العالم العربي الآن من أمثال هذا الرجل .

فمن المعلوم أن صاحبنا كان ملكاً عربياً نصرانياً ، ويعيش في
ملكه ، ولذاته ، في رحاب قيصر ملك الرومان ..

فلما رأى جيوش المسلمين تكتسح بلاد الشام ، بما فيها ملكه ،
فكر تفكير الانتهازيين ، فأعلن إسلامه إلى قائد عام الجبهة الغربية ،
أبي عبيدة ، الذي أعلنه بدوره إلى أمير المؤمنين ..

ودخل إلى المدينة دخول الملوك ، وكان منظر موكبه فريداً
طريفاً ..

وذهب يحج ..

ووقعت القصة الخالدة ..

داس رجل من الشعب على ملابس المذكور ، فأنحنى الملك
من أثرها !!

وهاج هائج الملك ، وثارت في عروقه عصبية الملوك .. فهشم أنف
رجل الشارع !

وشكا رجل الشارع إلى عمر ..

فجاء عمر بالملك ، وسأله فأقر ..

وحكم عمر في أخطر قضية ..

قضية الطبقات ، قضية الشعوب والملوك ، قضية الصراع الخالد
بين الظالمين والمظلومين ..

فماذا كان حكم عمر ؟

كان خالداً .. ما زال يدوي في أسمع القرون :

« قد اقررت ، فاما أن ترضي الرجل ، واما ان اقيده منك .. »

اي اجعله يهشم انفك كما هشمت أنفه ، بنفس الأسلوب وبنفس
الطريقة التي أتمت بها جريمتك !

خاود والله خاود .. يا عمر ..

أين الشيوعيون ، أين الرأسماليون .. أين الدنيا كلها لتنعني امام
حكم عمر ، كما انحنى الملك حين داس رجل الشارع على ثوبه ؟

وهنا يشع الاسلام شعاعه الخالد حين يقول :

﴿ .. العينَ بالعينِ ، والانفَ بالانفِ ، والاذنَ بالاذنِ ، والسنَّ

بالسنِّ ، والجروحَ قِصاصاً ﴾ ..

نعم .. ومن هنا اشتق عمر حكمه ، واعلنه في الأرض ، فاهتزت

له السماء !

وما كان لعمر ان يحيد عن كتاب الله .. وحاشاه .. وما كان
أن يحكم بغير ما اراه الله !

وعظم في صدر الملك أن يسوي عمر بينه وبين الرعايا !
ودائماً .. هذا هو منطق اولئك الذين تمنحهم المقادير فرصة
الملك على الناس ، او البسطة في الرزق ، او الارتفاع في
المناصب .

لأنهم يداخلهم الغرور ، ويظنون انهم طبقة غير طبقات الشعوب
وانه لا ينبغي ان تسوى القوانين بينهم وبين الجماهير .
لكن عمر .. الذي هو التطبيق الصحيح للاسلام .. نطق بالحق ،
وحكم بالعدل .

فماذا كان ؟

قال الملك : وكيف ذلك وهو سوقة وانا ملك ؟

هو هو منطق الطبقة المتكبرة الظالمة .. لا يتغير .. ولا يتبدل ،
كيف ذلك يا عمر ، وهو سوقة ، وهو رجل من الشارع ، وانا
ملك عظيم !؟

إن هذا لشيء عجاب يا عمر .. أن تسوي بين الملوك
والصعاليك !؟

وعلى الفور .. نطق عمر بالحق :

« إن الاسلام جمعك وإياه ، فاست تفضله بشيء .. إلا بالتعس
والعافية ، .. »

وكان قانوناً خالداً ..

« لست تفضله بشيء ، .. »

إن الاسلام جمعك وإياه ..

إن الاسلام سوى بينكما ، لا يعرف الاسلام عبداً وسادة ، ولا
ملوكاً وصعاليك ، ولا رجالاتاً فوق القانون ، ورجالاتاً تحت القانون ..
كلا .. بل الجميع سواء ، ملوكهم وصعاليكهم !
هذه هي روح الاسلام الصحيحة .. بلا زيف .. ولا التواء ..
ولا طمس للحقائق .

فأين المسلمون الآن من تلك الحقائق .. اللهم إننا لسنا على شيء
حتى نقيم ما أنزلته اليينا من الشرائع .

وانا اتحدى جميع الدول ، وجميع الشعوب ، وجميع الأنظمة ،
أن يضعوا يدي على حادثة واحدة في حياتهم ، تشبه تلك الحادثة في
حياة عمر ..

فإن قالوا : ليس في حياتنا شيء كهذا ..

قلنا لهم : ولكن حياة عمر كلها هكذا .. حوادث يعلو فيها الحق ، ويرتفع فيها العدل ، ويتلألأ فيها الخير .
بل عندنا من هذا كثير .. كثير جداً ..

ثم ماذا من تلك الأقصوصة التي يجب على الشعوب ان تتغنى بها ؛
وتتخذ منها شعارات ترفعها ..

يقول الملك : قد ظننت يا امير المؤمنين ان أكون في الاسلام
أعز مني في الجاهلية !
نفس منطق الطغاة ..

يتخذون الأديان سلماً لتحقيق مطامعهم ؛ فإن لم تسعفهم بما
يشاءون من مغنم ومكاسب نبذوها !

لقد دخل الرجل الاسلام ابتغاء العزة ؛ لينهب نصيبه من عظمة
الاسلام الدولية .. فلما رأى الأمر جداً لا هزل فيه .. اطلق لساقه
الريح .. وارتد كما كان !

ونحن نعاني اليوم من امثال هذا الرجل عناء كبيراً ..

هؤلاء المرتزقة من السياسيين ؛ واصحاب المصالح ؛ الذين
يهاضون كل محاولة للإصلاح في المنطقة ..

لماذا ؟ لأنهم اصحاب مصالح مع المستعمر .. لأنهم سادة ما بقي

الاستعمار ؛ وليسوا سادة إذا ذهب الاستعمار !

هؤلاء الذين لا صلة لهم بالاسلام إلا بقدر ما يحققه لهم الاسلام
من مكاسب .. فإن لم يحقق لهم كسباً فهم أعداء للاسلام ؛ في خفاء
أو علانية !

ابادة مائة الف !

بينما كان أبو عبيدة يسير مظفراً في شمال الشام ؛ كان عمرو
ابن العاص ؛ وشرحبيل ؛ يواجهان قوات الروم التي اجتمعت
بفلسطين ؛ ويجهدان للقضاء عليها .

وكانت هذه القوات عدداً عظيماً ؛ يقودها اخطر قواد الرومان
وأدهام ؛ ويسمى اطربون .

وكتب عمرو إلى عمر ..

فأمر امير المؤمنين يزيد بن أبي سفيان ان يوجه اخاه معاوية
إلى قيسارية ليفتحها ؛ فينقطع المدد الذي يأتي إلى اطربون عن
طريق البحر ..

والتقى معاوية باهل قيسارية ؛ وكانوا قوة هائلة ؛ وقاتلوا

مستمتين .. إلا ان النتيجة دائماً معروفة ..

فقضى معاوية عليهم حتى كانت قتلهم في المعركة ثمانين الفاً ؛
بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة الف !

وسقطت قيسارية ؛ وامتنع المدد عن اطربون عن طريق
البحر ..

ثم استولى العرب على ميناء غزة .. ففقد اطربون كل امل في
مدد يأتبه من جهة الموانىء !

رمىنا اطربون الروم

بأطربون العرب ؟

ووضع عمرو ، داهية العرب خطته ، وأحكم تكتيكه ، وكتب
إلى عمر يخبره بدهاء اطربون ، وخطورته ، ووصف له من قوة الروم
وعدتهم .

فامر عمر بإمداد عظيم ..

فأرسل إلى عمرو !

ونظر عمرو في كتاب عمرو ، وابتسم لصفته أطربون بالدهاء
والمكر ..

وقال لمن حوله :

« قد رسينا أطربون الروم ، بأطربون العرب فانظروا عمّ
تنفرج ؟ »

هذا ادهى الخلق !

وجاءت الامدادات الحربية إلى عمرو ، فبعث بعضاً منها إلى
إيلياء والرملة .. ثم سار في القوى الكبرى لجيشه يلقي أطربون
بأجنادين .

ووجد عمرو الروم في حصون وخنائق ومنعة .

فمكر عمرو مكرأ عجيباً .. وبعث رسلاً من عنده يتفاوضون
في الصلح ، وأسر اليهم أن يوافقوه بمدخل العدو وعوراته .

ولكن الرسل لم تَشْفِه .. فأثر ان يتولى الأمر بنفسه !

وتفكر عمرو .. وسار إلى أطربون .. ودخل عليه كأنه

رسول !

وتأمل عمرو حصونه ، وعرف منها ما أراد .
وتحدث الرجلان .. فارتاب أطربون في شخص محدثه ، وقال
في نفسه :

« والله إن هذا لعمرو ، أو إنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما
كنت لأصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله . »

ثم دعا جندياً من رجال حرسه ، فأسر اليه إذا مر العربي بمكان
بذاته أن يقتله

وأدرك عمرو إلى أن في الأمر كيسداً ..

فقال لأطربون :

« قد سمعت مني وسمعت منك ، فأما ما قلته فقد وقع مني
موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا
لتكاشفه ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيتك بهم الآن ، فإن رأوا في
الذي عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر والامير ، وإن
لم يروه رددتهم إلى مأمئهم وكنت على رأس امرك . »

سمع اطربون هذا القول ، فبدأ يشك في ظنونه ، واسترجع
الحارس الذي أسرّ اليه بقتل العربي .

وقال اطربون لعمر :

« انطلق فجيء باصحابك .. »

وخرج عمرو مسرعاً إلى عسكريه ، لا يلوي على شيء ، ولا يظن أن يعود لثملها .

وعرف اطربون الأمر ، فقال : « خدعني الرجل ، هذا ادهى الخلق ! »

وبلغ النبأ إلى عمر ..

فقال : « غلبه عمرو ، لله عمرو ! »

هذا نوع من الرجال الذين حملوا دعوة الاسلام وبلغوا بها مشارق الأرض ومغاربها ..

نوع ممتاز .. عباقرة .. تجد فيهم العظمة من اطرافها .. عبادة ، حرب ، مكر ، دهاء ، سياسة ، شجاعة ، كرم ، عزة ، وفاء .. كل مقومات العظمة تجدها في اصحاب محمد .. صلى الله عليه وسلم !!

وهذا هو عمرو .. وهذا نموذج من دهاء عمرو ، وكيف لعب بقائد الرومان ، وعبث به كأنما هو كرة قدم يدحرجها كيف يشاء ..

ذلك هو الصنف الذي يصلح لحمل الاسلام ..
إن الاسلام في حاجة إلى رجال ، لا إلى أعداد هائلة من البشر
وكفى .. وإنما نحتاج إلى مثل عمرو ، و خالد ، وسعد ، والقعقاع ..
اولئك الممتازون !

اجنادين ؟

والتقى الجمعان ..
عمرو وجيوشه .. وأطربون وجيوشه .
وبلغت شدة بأجنادين ما بلغت بالبرموك ، وكثرت القتلى من
الجانبيين ، وترجح النصر زمناً بينهما .
ودائماً .. كان المسلمون اكثر صبراً وثباتاً .
فلما آذنت الشمس بالمغيب ، رأى أطربون صفوفه تضطرب ،
ورجاله يسري فيهم الاعياء .
فانسحب بجيوشه متقهقراً إلى ناحية بيت المقدس ..
ثم رأى اطربون الموقف ميئوساً منه ..

وأن مدينة بيت المقدس صائرة لامحالة إلى أيدي المسلمين ..
فانسحب بقواته إلى مصر ..
وترك من ورائه المدينة المقدسة .. تنتظر مصيرها المحتوم !!

أبو عُبيدة ...

يشهد استلام عُمر ...

بيت المقدس ؟ !

مجلس الشورى يجتمع !

وحاصر عمرو بجيوشه بيت المقدس شهوراً ، واشتدت مقاومة
المدينة ، حتى كتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول :
« إني أعالج حرباً كؤوداً سدومياً ، وبلاداً ادّخرتُ لك ،
فرايك ، .. »

وقرأ عمر كتاب عمرو ، على المسامين بالمسجد ، واستشارهم
فيه ..

ورأى عثمان بن عفان ألا يبرح عمر المدينة :

« فإنت إن أقمت ، ولم تَمِرْ إليهم ، راوا إنك بأمرهم
مستخف ، ولتألمهم مستعدّ ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على
الصّفّار ، ويُعطوا الجزية ، .. »

وعارض علي بن أبي طالب رأي عثمان ، وأشار على عمر بالسير

إلى إيلياء :

« فقد أصاب المسلمين جهد عظيم ، من البرد والقتال وطول
المقام .. فإذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية
والصلاح والفتح . ولست أمن أن يياسوا منك ومن الصلح ويمسكوا
حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطساعيتهم ، لاسيما وبيت المقدس
معظم عندهم واليه يحججون ، .. »

واخذ عمر برأي عليّ ، فأنابه على المدينة ، وأمر الناس بالاستعداد
للسير معه ..

موكب عمر !

وسار عمر على رأس الجيش الذي اجتمع له ، من المدينة حتى
نزل الجابية .

وكان قد كتب إلى أمراء الجيوش في الشام ، أن يوافوه بها ليوم
سماء لهم ، وأن يستخلفوا على أعمالهم .

فكيف كان عمر ، في طريقه إلى الشام ؟

ليت الناس كلهم يجتمعون ليشهدوا أعجب منظر في التاريخ ..

موكب عمر ، حاكم اكبر امبراطورية يومئذ .. الامبراطورية التي
ابتلعت الكتلتين اللتين كانتا هما العالم القديم ..

قالوا : سار عمر على بعيره له ، جعل عليه غرارتان ، في إحداها
سويق ، وفي الأخرى تمر !

وبين يديه قربة مملوءة ماء ، وخلفه جفنة للزاد !

ومعه جماعة من الصحابة ..

وكان يقرب لهم جفنته في الصباح فيأكلون معه !

ثم ماذا ؟

وكان يعلم المسلمين الذين يمر بهم ، وينهاهم عما يخالف دينهم مما
كانوا يقترفونه عن جهل .

واراد عمر دخول بيت المقدس وعليه مرقعة من صوف فيها
أربع عشرة رقعة بعضها من أديم ..

فقال له اصحابه : لو ركبت بدل بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً
بيضاء !

وفعل ..

وطرح على عاتقه منديل من كتان دفعه اليه أبو عبيدة !

وقدم له برذون ركبته ، فلما رآه يهملج به نزل عنه ! وقال لأصحابه :

- اقبلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة ، فقد كاد أميركم يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر !

ثم نزع ما كان عليه ، وعاد إلى لبس مرقعته !!
ما هذا يا عمر !؟

أأنت فعلت هذا ، والدنيا بخذافيرها تحت قدميك ، وقوادك يفتحون ما يشاءون من أقطارها ؟

تالله إن هذا لهو الزهد الحق يا عمر !

وأي كبر ، وأي عجب في ركوبك للبرذون يا عمر ؟ وما هذا البرذون ، وما قيمته حتى يثير في نفسك الكبر والعجب ؟

ثم هذا المنديل الذي طرحته عن عاتقك .. هل هذا شيء يثير العجب .. وانت تملك العالم كله يا عمر ؟

أبدأ .. وإنما هي العظمة ، عظمة المقربين الذين يتنزهون عن الجائز ، اجلالاً لله واعظاماً لحقه سبحانه على عباده !

ابن هذا مما يفعله الملوك ورؤساء الدول ، حين يجوسون خلال ممالكهم ودولهم ، في أسراب من السيارات الفاخرة ، والمواكب

ولكن معذرة .. فلا وجه للمقارنة بين هؤلاء وبين عمر !

وصف تفصيلي للموكب !

قالوا : قدم عمر بن الخطاب الجابية عن طريق إيلياء على جبل
اورق ، تلوح صلعتة للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ..
تصطفق رجلاه بين شعبي الرحل بلا ركاب .

وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف .. هو وطاؤه إذا ركب ،
وفراشه إذا نزل !

حقيبته نمرّة أو شملة محشوة ليفاً ! هي حقيبته إذا ركب ،
ووسادته إذا نزل !

وعليه قميص من كرايبس ، قد رسم ، وتخرق جنبه !

فقال : أدعوا إليّ رأس القوم ..

فدعوا له الجلومس ..

فقال : اغسوا قميصي ، وخطوه ، واعيروني ثوباً أو قميصاً !

فأتى بقميص كتان ..

فقال : ما هذا ؟

قالوا : كتان .

قال : وما الکتان ؟

فأخبروه ، فنزع قميصه ، فغسل ، ورقع . وأتى به ، فنزع قميصهم
ولبس قميصه !

فقال له الجاومس : انت ملك العرب ؛ وهذه بلاد لا تصلح بها
الإبل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً ، لكان هذا أعظم
في أعين الروم

فماذا كان جواب عمر ؟

قال : نحن قوم اعزنا الله بالاسلام ، فادع نطالب بغير الله بديلا ، ..

فأتى برذون ، فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل ،
فركبه بها .

فقال : احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان
قبل هذا ..

فأتى بجمله فركبه .

وقالوا : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ،

ونزع خفيه ، فامسكها بيده ، وخاض الماء ومعه بغيره !
فقال له ابو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند اهل
الارض ، صنعت كذا وكذا .

فصك عمر في صدره .. وقال : او لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة
انكم كنتم اذل الناس ، واحقر الناس ، واقل الناس ، فاعزكم الله
بالاسلام ، فهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله !

يا للعظمة يا عمر ! لانك ترتفع .. حتى على مقام ابي عبيدة ..
ارتفاعاً بعيداً !

مهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله ..

فليسمع العالم الاسلامي ، وليسمع العالم العربي .. مهما حاولوا
العزة الدولية بغير تطبيق الاسلام في مجتمعاتهم وامرهم كله ،
ينذلهم الله !

وهذا القول من عمر ، ينبغي ان تدرسه الجماهير والحكومات
المسلمة ، وأن نراجع انفسنا على اساس منه .. فعمر ينطق بالحق
دائماً .. وكلامه خالد خلود الحقائق .

ولقد جربت الامم الاسلامية ، محاولة النهوض من كبوتها ،
والوقوف من تخلفها ..

فارتدت خاسئة وهي حسيرة .. ذلك أنها التمسست العز بغير
الاسلام فلم تزد إلا ذلاً .

ولو أنها تنادت فيما بينها بالاسلام ، لالتأم شملها ، واتحد افتراقها ،
وانطلقت في المجال الدولي كتلة واحدة لها دينها ، ولها سياستها
المستقلة ، لشرقية ولاغربية .

آه .. لو عقل الساسة قولك يا عمر ..

ثم آه !

معاهدة بيت المقدس !

فلما عرف قواد عمر مقدمه إلى الجابية . ساروا اليه يتقدمهم
يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد ، على الجند
في عرض ياخذ بالأبصار !

ورآهم عمر مقبلين ، عليهم الحرير والديباج ، فغلي الدم في
عروقه لمرآهم ، فنزل عن فرسه ، واخذ الحجارة ، ورمأهم بها ،
وصاح مغضباً :

« سَرِعَ ما لِفِثْمَ عن رأيكم ! إياي تستقبلون في هذا الزي !

وإنما شبعتم منذ سنتين ! وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين
لاستبدلت بكم غيركم » .

إن عمر يثور اشد الثورة ، ان رأى قواده الذين دوخوا
الرومان ، عليهم مظاهر العز والفضيحة !

واعتذروا اليه جميعاً وقالوا : « يا أمير المؤمنين إنها يَلاَمِقة ،
وإن علينا السلاح » .

ورأى عمر سلاحهم ، فخفف مرآه من ثورة غضبه ..

فقال : « نعم إذا ! »

وركب ، حتى دخل الجابية ، وسار القوم في صحبته .

شخصية عجيبة ذلك الرجل ..

لا يريد حتى أن يرى قادة جيوشه في شيء من البهجة

والزينة ..

إن له فلسفة في ذلك .

إنه يريد دائماً في خشونة وبساطة ، ومتى كانوا هكذا نصرنا

على أعدائهم ، أما إذا أترفوا كترف أعدائهم ، فما هو الفارق

بينهم إذا ؟

مثال صادق لشريعة الله ..

ونزل عمر بمعسكر الجابية .. وجاءت رسل صفرونيوس ،
أسقف بيت المقدس ، يتمون الصلح مع امير المؤمنين .
وصالحهم عمر على صلح دمشق ، بل على صلح اكثر منه سخاء ،
وكتب لهم معاهدة هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

« هذا ما أعطى عبدالله ، عمر ، امير المؤمنين .. أهل إيلياء
من الأمان .. أعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وُصلبانهم ،
وسقيمتها وبريئتها ، وسائر ملتها ، إنه لا تُسكَنُ كنائسهم ، ولا
تُهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا
من شيء من اموالهم .

« ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضارُّ احد منهم ، ولا يسكن
بايلياء (بيت المقدس) معهم أحد من اليهود .

« وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

« وعليهم ان يخرجوا منها الروم والصوص . فمن خرج منهم
فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ، ومن اقام منهم فهو
آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

« ومن احب من اهل إيلياء ان يسير بنفسه وماله مع
الروم ، ويُخلى بيعهم وُصلبهم ، فإنهم على أنفسهم وعلى بيعهم

وصلبهم حتى يبلغوا ما امنهم ..

« ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، وإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصَد حصادهم ..

« وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية » .

ووقع عمر على المعاهدة ..

وشهد عليها خالد ، وعمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية ..

ورجع رسل صفرنيوس بالمعاهدة إلى القدس ، فسر الأسقف سروراً عظيماً ..

وساد الفرح أهل المدينة جميعاً ..

كيف لا وقد اعطت المعاهدة للجميع حرية العقيدة ، وحرية الإقامة ، وحرية الخروج من المدينة ، وحرية اللحاق بالرومان ، وحرية الحياة مهما تنوعت ، ومهما تعددت ؟

وتجلت عبقرية عمر ، عبقرية الاسلام ، واضحة أشد ما تكون في تلك المعاهدة .

اعطاهم عمر حق الحياة ، وحق الاعتقاد ، وحق الإقامة ، وحق الهجرة ، وحق الاختيار ، وحق الأمن والاستقرار .
وهذا هو الاسلام في معاهداته ، وفي المجال الدولي .. حرية ، ووفاء ، واحترام للعهود ، واحترام للعقائد ..
لا إكراه في الدين .

لقد خلس النصارى بيت المقدس من سخافات حكم المسيحيين أنفسهم بتلك المعاهدة .

أين هذا مما كان يريد هرقل أن يُكره عليه اهل القدس من ترك مذهبهم إلى مذهب الدولة المسيحي الرسمي ، فمن أبى جُدع أنفه ، وُصلمت اذناه ، وُهدم بيته ؟

وأنا ارفع تلك المعاهدة في وجوه اهل العصر الحديث ، اياً ما كان مذهبهم السياسي او الاقتصادي أو العقائدي ..
واقول لهم :

– ادرسوا هذه المعاهدة ، وقارنوها بمعاهدات الصلح التي عقدتموها مع غيركم ، في تاريخكم الطويل ، وحرروبكم العديدة .. وسوف تجدوا أنها شيء فوق عقولكم ، وفوق شهواتكم ، وفوق تفكيركم .. شيء عال رفيع ، لا يستطيعه إلا عمر ، إلا من اهتدى بهدى الاسلام ، واستنار بنوره .

لقد اعتبرها عمر مدينة دولية ، لها كل الحرمات ، وكل
القداسات .. لأي إنسان من اهل الأرض ان يقيم بها ، او يرحل عنها
في حرية تامة عامة ..

وهذا هو الاسلام في المحيط الدولي ..

وتلك هي سماحته ، وهذه هي نظرتة إلى الحرية واحترامه
لحقوق الانسان ..

عمر يدخل بيت المقدس ا

امتطى امير المؤمنين فرسه ، ودخل به بيت المقدس ، ومعه عدد
من قواده ..

وتلقاه البطريرق صفرنيوس وكبراء المدينة ، وتلطف بهم
وأدناهم ، وتحدث اليهم حديثاً ادخل محبته في قلوبهم .

ورأى أئمة المسيحية ، وقادة الرومان ، رجلاً لا عهد لهم
بمثله ..

صدق ، عدل ، بساطة ، رحمة ، انكسار لله .. وذكروا جبروت
قيصر ، وعسفه ، فمالت قلوبهم إلى عمر ميلاً شديداً .

إلا انهم محترفة مرتزقة ، لا يعدلون بمناصبهم شيئاً من تكاليف الحق وتضحياته ..

وجاء المساء ، وانصرف القوم ، وخلا عمر بنفسه .. فقام يصلي من الليل طويلاً ، شكراً لله على ما أنعم به عليه .

فلما أصبح جاءه صفرنيوس ، وسار معه خلال المدينة ، يشرح له من آثارها ، وكم لها من آثار !

وبينا الرجلان بكنيسة القيامة ، ادرك عمر موعد الصلاة .. فطلب البطريق اليه ان يصلي بها ، فهي من معابد الله ..

إلا ان عمر اعتذر ، بأنه إن يفعل يتبعه المسلمون على تعاقب القرون ، إذ يرون عمله سنة مستحبة ، فإذا فعلوا اخرجوا النصارى من كنيستهم ، وخالفوا عهد الامان .

واعتذر للسبب نفسه عن الصلاة بكنيسة قسطنطين المجاورة لكنيسة القيامة ..

وكانوا قد مدوا له عند بابها بساطاً يصلي عليه ، وإنما صلى في مكان قريب من الصخرة المقدسة على أطلال هيكل سليمان ..

وفي هذا المكان شيد المسلمون بعد مسجداً فخماً ، هو المسجد الأقصى ..

اما في عهد عمر ، فقد كان هذا المسجد بسيط البناء كمسجد

النبي صلى الله عليه وسلم .. بالمدينة يوم أقيم ..

لا اكراه في الدين ؟

ووضع عمر برفضه الصلاة في الكنائس أخطر مبدأ في علاقات
الدول بعضها ببعض ، من حيث التسامح ، وحرية العقيدة .
لم يفعل عمر كما فعل هذا الذي يسمى بنابليون بونابرت ، حين
دخل القاهرة ..

ودخل بجيوله إلى مسجد الأزهر ا
وإنما عمر هو عمر ..

وشتان بين رجل تتلمذ على محمد صلى الله عليه وسلم .. ورجل كل
مجده أنه صاحب عبقرية عسكرية ا

وهذا النابليون الذي جعله الغربيون أغنيتهم الخالدة ، والفوا
في مفاخره وعبقرياته آلاف الكتب .. يعتبر شيئاً تافهاً ، لا وزن
له ، إذا قيس إلى رجل عملاق كعمر بن الخطاب .

ومن كان في شك من هذا فليُنظر إلى موقف الرجلين من تلك

الحادثة المتشابهة ..

دخل عمر بيت المقدس فاتحاً ، وحن موعد الصلاة ، وعرض عليه البطريق أن يصلي في كنيسة القيامة أو قسطنطين ، فاعتذر الرجل ، مخافة أن يقلده المسلمون في ذلك ، فيكون في هذا مساس بحرية عقيدة المسيحيين .. وحرية معابدهم .

ودخل بونابرت القاهرة فاتحاً .

فدخل أكبر مسجد في العاصمة ، دخول الرعاع وقطاع الطرق ، واتخذ منه مربطاً لخيوله ، مع ما يجره ذلك التصرف الخسيس ، من قذارة وتحقير للمسجد .

فليقارن من كان في شك مما اقول بين مسلك الرجلين في الحادثتين المتشابهتين ..

وسوف يجد الفارق بعيداً جداً ..

هذا مسلك انسان عظيم ..

وذلك مسلك جبار لئيم !

هذا هو نابليون بونابرت ، اغنية الغريبيين .. ومثلهم الأعلى .. يبدو حقيراً تافهاً . يخضع لتواضع الشر . وعفونات الحقد ..

وهذا هو عمر ، امير المؤمنين . يبدو عظيماً شامخاً ، إذا وزنت

أقدار الرجال .

وهذا ما أريد من جيلنا الصاعد أن يفتن له ، وينتبه بكل
حواسه اليه .

اريد من جيلنا الصاعد أن ينبذ من اعماقه رواسب الثقافة
الاستعمارية الإجرامية ..

تلك التي رسبت في رؤوسنا تعظيم أبطال الغرب ، وتقديس
فعالهم ..

وفي نفس الوقت طمست على ملامح العظمة من ابطالنا . ابطال
الاسلام ؛ ابطال العرب !

ونشاننا .. متأثرين اشد التاثر .. عن عمد أو عن جهل .. بذلك
التوجيه الإجرامي .

وكون المستعمر في العالم الاسلامي جيلاً يعتقد أن العظماء هم
عظماء الغرب ؛ وان الشرق خلو من العظماء ..

وأنا أقرر ؛ وفي يدي اسطع برهان ؛ أن رجلا كعمر بن الخطاب ؛
اعظم الف الف مرة من هذا النابليون بونابرت ا

ذلك ان الانسانية ارتفعت بعمر ارتفاعاً عظيماً ؛ بينما انخفضت
إلى الحضيض بفعال نابليون .

فليست العظمة ان تكون قائداً عبقرياً ؛ ولا أن تكون داهية

سياسياً ؛ ولا أن تكون أكبر من ذلك ؛ وإنما العظمة ان تكون قبل
هذا وذلك انساناً ..

ولقد شهدت الأرض والسماء أن عمر كان إنساناً .

إن عندنا شموعاً ولكنها مطفأة ..

ولدينا شموساً ولكنها مطموسة ..

وعندنا أقماراً ولكنها مغطاة بسحب داكنة ..

والآن .. وقد انزاح كابوس الاستعمار .. فقد اصبح لزاماً أن
نفتش عن أمجادنا ؛ وأن نبعث إكبار أبطالنا في نفوس أبنائنا .

إن تلك المدرسة التي رباها الاستعمار كيفما يريد ؛ يجب أن
تسقط بأساتذتها وطلابها وروادها ..

يجب أن ترفع من الطريق ، لتتقدم مدرسة جديدة ، مدرسة
ثائرة ، تكبر الإسلام ، وتعظم أبطاله ، وتمجد فعالهم .

إن هناك جذوراً عفنة لمدرسة الاستعمار الثقافية . ما زالت
تمد شعيراتها في النجاسات والانحرافات . هذه الجذور يجب ان تقتلع
وتذهب ..

سلامٌ عليك يا عمر .. سلام عليك يوم كرمت حرية الانسان
وحرية العقائد .. يوم أبيت الصلاة في الكنيسة .. وصليت بعيداً
عنها في مكان بسيط في خلاء !

عمر يعمل كناساً !

معلوم أن الأعمال في نظر الاسلام سواء . ليس فيها دنيء
وشريف .. كما هو الحال عند الأكثرين من الناس .

وهذا الطابع تراه واضحاً في سلوك المسلمين الأول . فيما كانوا
يباشرون من أعمال عظيمة او تافهة .

ويبدو هذا السلوك اوضح ما يكون في مسلك عمر . في تلك
الأقصوصة .

قلتبا أن عمر اعتذر لصفريوس عن الصلاة بكنيسة
القيامة .. وانه صلى بمكان قريب من صخرة يعقوب ، على أطلال
هيكل سليمان !

وفي هذا المكان الذي صلى فيه عمر اقيم مسجده .. بسيط البناء
كمسجد النبي بالمدينة يوم اقيم .

وجعل عمر قبلة المسجد إلى الكعبة . ولم يجعل الصخرة
دونها ..

ورأى عمر على الصخرة كناسة كان الروم يلقونها فوقها .

فقال لأصحابه :

« اصنعوا كما اصنع » .

ثم جثا في أصلها .. وجعل يحمل ما عليها بنفسه . فيلقيه بعيداً عنها .

وصنع أصحابه كما صنع .. وما زالوا بالصخرة حتى زال كل ما عليها !

وقد بقيت الصخرة محاطة برعاية المسلمين من يومئذ .. إلى أن أقام عبد الملك بن مروان عليها قبة بالغ في العناية بعمارتها . حتى جعلها أروع آية في البناء .. حتى لقد فاق بها عمارته المسجد الأقصى والمسجد الحرام ..

تلك هي الأقصوصة الخالدة التي تسجل ان عمر عمل يوماً ما كناساً . وحمل بنفسه الكتاسنة والقاذورات عن الصخرة ا ودعا أصحابه إلى ذلك . وهم القادة والحكام والعظماء والكبراء في الدولة !

وعملوا كما عمل .. كناسين .. وهو أقل الأعمال شأناً .. في مقاييس الناس ..

فما دلالة تلك الفعلة التي فعل ؟

انها دلالة عظيمة .. أن الاسلام يسوي بين الأعمال جميعاً ..
فليس هناك عمل عظيم في ذاته . وعمل حقير في ذاته .. وإنما
الكل سواء من حيث هو عمل .
وإنما يأتي التفاضل والتفاوت فيما تنطوي عليه نفس العامل
وقت تنفيذه لذلك العمل ..

فمن كان يبتغي بعمله وجه الله فهو عمل مرفوع عند الله ، ومن
كان يبتغي بعمله رياء ، أو شهرة ، أو دنيا يصيبها ، أو امرأة
ينكحها ، فهو عمل موضوع عند الله ..

وعلى قدر نية المرء واخلاصه تكون درجات الأعمال عند الله .

تلك هي نظرة الاسلام إلى الأعمال التي هي نظرة عمر ..

فعمر حين انبعث إلى الكناسة على الصخرة يحملها ، وينظفها ،
وحين دعا أصحابه إلى ذلك .. إنما كانوا جميعاً يريدون وجه الله ،
يعظمون الله في تعظيم حرماته ..

قال تعالى :

﴿ ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ ..

كانوا يريدون ما عند الله .. ولا ينظرون إلى طبيعة العمل ،
وإنما ينظرون إلى غاية العمل ..

فكان ما عملوا عظيماً عند الله ، عظيماً في موازينهم يوم القيامة ..
وإن كان في مقاييس الجاهلين عملاً حقيراً لا يصح أن يباشره رجل
يحترم نفسه !

وهكذا هذا الإسلام العجيب .. يزن الأمور وزناً غير موازين
الناس ..

فقد يكون الرجل ملكاً عظيماً في عرف الناس .. وهل هناك
صناعة أعظم من صناعة الملك ؟

إلا أنه لا يساوي شيئاً عند الله ، لأنه يتخذ الملك كبراً وعلواً
بغير الحق !

وقد يكون الرجل كناساً ، يباشر أدنا الأعمال فيما تعارف عليه
الناس ، ولكنه عظيم عند الله ، لأنه يريد بعمله هذا وجه الله !
وهذا هو الميزان الحق .. ميزان الإسلام .. ومن هنا اختلفت
نظرة الإسلام إلى الأعمال عن نظرات الناس ..

وما كان عمر بدعاً فيما صنع ، وقد رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل يرفع التراب مع أصحابه في غزوة الأحزاب ،
وقد رأى أبا بكر من قبل يأخذ بفرس أسامة ويقوده ماشياً واسامة
راكباً ؟

إنما هو معين واحد .. معين القرآن ووحى السماء .. منه نهلوا
جميعاً ، ومنه صدروا عن أسلوب واحد ..

عودة الفاتح

وانهى عمر رحلته إلى بيت المقدس ، وحقق رجاءه ، وفتح الله له المدينة العالمية ، يفعل فيها ما يشاء .

سبأ هرقل يفر مذعوراً إلى القسطنطينية ، لا يدري ماذا يفعل ، ولا ما سوف يفعله به عمر ا

وكانت أنباء الفتح قد بلغت علياً والمسلمين بالمدينة ..

فاستقبلوه بظاهر المدينة استقبالا عظيماً !!

ثم ماذا من عجائب ابي عبيدة !؟

الامة كلها ..

تروع لنعمة ..

أبي عبيدة؟!!

الدولة المؤمنة تتحرك !

قال صلى الله عليه وسلم :

« المؤمنون كجسد واحد .. إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. »

ليس المقصود من ذلك الحديث تلك المعاني الضيقة التي درج الناس ان يحصروه فيها من الأخلاق والایمانیات ..
كلا .. وإنما هو معنى عام هام .. في كل شأن من شؤون الحياة ..

المؤمنون كجسد واحد !

بمعنى أن هذا الجسد يفرع ويألم ويتحرك كله ، إذا أصيب منه عضو من الأعضاء ، أو إذا تعرض للخطر .

وأوضح مثال لذلك هو ما نعرضه الآن ، مما حدث في عهد عمر
للامبراطورية الناشئة .

عاد أبو عبيدة ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان من
من بيت المقدس ، من روفة عمر ، كل إلى عمله .
فاقام يزيد بدمشق ، ونزل أبو عبيدة حمص ، واستقل خالد
بامارة قنسرين .

وجعل كل منهم يحكم ولايته بالعدل والرحمة بعد أن خضعت
الشام للمسلمين من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ..

على أن أهل الجزيرة المقيمين بين العراق والشام كتبوا إلى
هرقل ، أنهم على استعداد لمعاونته ، إذا أرسل من البحر جنداً
يقاتل المسلمين ، ويسترد منهم ما استولوا عليه .

وأعادوا الكتابة اليه في ذلك ..

فظن امبراطور الرومان أنها فرصة ، ليلقي على المسلمين درساً ،
ويسترد منهم الشام ..

وكتب إلى أهل الجزيرة يشجعهم ويحرضهم ، ويذكر لهم أنه أمر
سفنه ، فهي تمخر البحر ، تحمل الرجال والعتاد من الإسكندرية إلى
أنطاكية ..

فسارت هذه القبائل بكل قواتها ، من الجزيرة ، تريد حمص .

وبلغت ابا عبيدة أنباء ذلك كله ..

وشاور أبو عبيدة خالداً في الأمر ، واستقر رأيهما على أن تجتمع قوات المسلمين بشمال الشام لمواجهة العدو .

وترامت الأنباء في جميع الأنحاء ، فما أقبلت سفن هرقل إلى انطاكية ، حتى ثارت بالمسلمين ، واندلع لهب الثورة في شمال الشام كله !

والفى أبو عبيدة نفسه محصوراً في حمص ، يحيط به الشائرون من كل جانب ..

ويسير أعداؤه لمهاجمته مقبلين من ناحية البحر ، ومن ناحية البادية ..

وعلى الفور جمع أبو عبيدة قواده واستشارهم وأنبأهم أنه كتب إلى عمر في الأمر .

انظر كيف كان أمر عمر حين بلغه ذلك !

ثم انظر كيف تحركت الأمة كلها ، وكيف كان تجاوبها حين دهم الخطر مكاناً منها ..

تماماً كما شبههم رسول الله ..

« كجسد واحد » ..

ماذا فعل عمر؟

استجاب سريعاً ، وصادر أوامره سريعاً ، وتحولت الأمة كلها إلى العمل سريعاً .

إن ابا عبيدة قد أحيط به ؟

كتب فوراً إلى سعد بن أبي وقاص :

« اندبِ الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فإن ابا عبيدة قد أحيط به وتقدم اليهم في الجهد والحدة » ..

ونفذ سعد أمر أمير المؤمنين فوراً ، في نفس اليوم .

وفي نفس اللحظة تحرك القعقاع في أربعة آلاف من الفرسان الجريين ، فانطلقوا مسرعين من الكوفة إلى حمص .

هل هذا فقط ..

كلا .. إن الجسم كله يجب ان يتحرك سريعاً ، ليهاجم كله
موضع الخطر ..

هذه الثلاثين الفاً التي تحركت من الجزيرة وتركت بلادها لتقاتل
أبا عبيدة وتنضم إلى قوات هرقل القادمة من البحر ، من
انطاكية .. لا بد أن تتلقى درساً يعلمها أن لا تفكر في مقاتلة
جنود الله ..

وعلى الفور أصدر عمر أوامره إلى سعد أن يبعث جيوشاً تغزو
بلاد الجزيرة .

فليبعث سعد بن أبي وقاص سَهيل إلى الجزيرة في الجند ، فإن
اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص ..
ولتكن الرقّة مقصد سهيل ..

وليسرح عبدالله بن عتبان إلى نصيبين .. فإذا أخضعوهما
فليسيرا إلى حَرَّان والرُّها ..

وليسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ..
ولتكن لعياض بن غنم .. إمارة الجند كله في حرب
الجزيرة .

فإذا سار هؤلاء الأمراء جميعاً ، وخرّبوا ديار أهل الجزيرة ،
ذكرت جيوشها ذلك فلم يقاوموا !

أوامر متدافعة ، سريعة ، جبارة ، تدل على أن الإرادة الحديدية
قد انبعثت في عمر ..

إرادة التحدي للكفر وأعداء الله ، والاصرار على النصر .

كل الدولة تتحرك ، كل الدولة تتفاعل ، وتتدافع لدرء الخطر
عن الجسم !!

وبعث هرقل ابنه قسطنطين على رأس الجيوش التي نقلتها السفن
من الاسكندرية ليشار لكرامته ، ويقضي قضاء تاماً على خطط عمر
العسكرية ..

عمر يخرج غوثاً لابي عبيدة ؟

وفكر عمر ..

وفكر ، وقرر ان يخرج فوراً بنفسه ليقود المعركة ..

وحشد ما استطاع من قوات المدينة وما حولها ، وسار هو على

رأسها ، متخذاً طريق دمشق إلى ميدان القتال ..

ارأيت ؟ كل الجسم يتحرك ..

القعقاع إلى حمص ، آخرون يهاجمون الجزيرة نفسها ..

عمر ، رأس الدولة ، يخرج بنفسه إلى القتال ..

وهذا هو المثال الحي لمعنى قوله صلى الله عليه وسلم :

« كالجسد الواحد » ..

وهكذا كانت تلك الأمة تتفاعل وتتجاوب بأسرع ما يكون

التفاعل والتجاوب ، لأنها كانت في أقصى درجات الحياة .

النصر بالرعب ؟

فماذا كانت النتيجة عندما انطلق العمالق من كل مكان ، وعلى

رأسهم عملاق الحق الأكبر ؟

أما القبائل التي خرجت تريد حمص ، فأيقنت أن منازلها

بالجزيرة لن ترعى لها حرمة بعد الذي صنعت .

فانخلعت منها القلوب ، وآثرت الرجوع من حيث أتت ، لعل

في رجوعها بعض ما يكفر من جرعتها !

واصبح أبو عبيدة يوماً ، فعلم أن القبائل تفرق أهلها مرتدين
إلى بلادهم وذويهم ..

وأنه لم يبقَ بازائه إلا الروم جند هرقل !

ودعا إليه قواده ، وقال لهم : أنه يرى محاربة القوم .

وسر خالد بن الوليد ، وأشار بمفاحاتهم قبل أن يأخذوا للموقف
الجديد عدته .

وظن الروم حين رأوا القبائل تتخلى عنهم ، ورأوا المسلمين
يخرجون من حصون حصص للقائم ، أن في الأمر مكييدة دُبرّت
لهم فتولتهم الخيرة .

وهاجمهم أبو عبيدة ..

واستات الروم في القتال .. لكنهم تضعضعوا ..

ثم انهزموا !

ففروا قبل ان يبلغ القعقاع بن عمرو حصص ، وقبل ان يبلغ
عمر الجابية في طريقه إلى الشام !

ما هذا ؟

هذا النصر بالرعب ..

رجال صدقوا الله فصدقهم ، وخرجوا يريدون الموت ،
فكان الله معهم ، والقى في قلوب الذين كفروا الرعب ، وزلزلهم ،
فانهزروا .. وفر من فر منهم ، وأصبحت مقاومتهم كان
لم تكن !.

تأمل ..

الرومان يخرجون في جيوش وأساطيل ، وحلفاءهم من
الجزيرة يخرجون في ثلاثين ألفاً من الجنود ، فما أن أحسوا أن
المسلمين قد انبعثوا من كل مكان للقائهم . حتى رعبوا ، ففروا
وانهزموا !

علم الله من المسلمين الصديق .. وعلم ما في قلوبهم .. وأنهم خرجوا
يريدون إعلاء كلمة الحق ..

فكان أن تدخل الله في المعركة .. ونصرهم نصراً عزيزاً ، كأنه
الأحلام !

ومن هنا يجب أن نتعلم ..

نتعلم أن الله يريد منا أن نعمل ، وأن نريد بعملنا وجهه ،
وأن نعد للعدو ما استطعنا من قوة حربية .. فإذا آنسنا منه
غدرأ ، أو اعتداء ، هبنا هبة رجل واحد للقائه .. وسوف يكون

الله معنا .

فلما بلغ عمر الجابية وجد رسول أبي عبيدة بها يذكر له
انتصارهم قبل ثلاثة أيام من وصول القعقاع اليهم ، ويستشيريه في
الفياء ، وهل يكون لرجال القعقاع نصيب منه ؟

واطمأن عمر إلى نصر الله .. وكتب إلى أمين الأمة كي يشرك
أهل الكوفة في العطاء ..

فسيرهم لنجدته ، هو الذي أدخل الرعب إلى قلب عدوه ،
فأدى ذلك إلى هزيمته ..

« وجزي الله أهل الكوفة خيراً ، يحمون حوزاتهم ويمدّون
أهل الامصار ، .. »

ثم رجع عمر إلى المدينة ..

وهكذا حاقت الهزيمة بالرومان في محاولتهم اليائسة لاستعادة
الشام .

فعاد كل أمير من المسلمين إلى إمارته ، بعد ان هدأت ثورة
الناشرين ، ويأسوا من عودة الرومان إلى الشام .
ليس هذا فقط ..

وإنما تداعى أهل الجزيرة ، قبيلة إثر الأخرى .. تستسلم ،

وتعطى الصلح والجزية ، بعد أن رأوا قوة المسلمين التي لا
تغلب ..

وهكذا اتصلت الدولة الاسلامية في الشمال .. والتام العراق
مع الشام ..

لقد أرادوها هزيمة للمسلمين ..

فانقلبت خيراً لهم ..

النبييل ابو عبيدة ...

تترونا مطرمة ...

عندما هوكم ..

فأله بن الوليد !؟

قال ابن الاثير :

» .. عَزَلَ خالِد بن الوليد ..

» في هذه السنة .. وهي سنة سبع عشرة .. عزل خالد بن الوليد
عَمَّا كان عليه من التقدّم على الجيوش والسرايا ..

» وسبب ذلك أنه كان أدرب هو وعياض بن غنم .. فأصابا
أموالاً عظيمة ..

» وكانا توجهها من الجابية مرجع عمر إلى المدينة ..

» وعلى حمص أبو عبيدة .. وخالد تحت يده على قنسرين ..
وعلى دمشق يزيد .. وعلى الأردن معاوية .. وعلى فلسطين علقمة
ابن مجزّر .. وعلى الساحل عبد الله بن قيس ..

» فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه رجال .. وكان منهم
الأشعث .. بن قيس ..

» فأجازه بعشرة آلاف ..

« فلما فرّق خالد في الذين انتجعوه الأموال .. سمع بذلك عمر بن الخطاب .. وكان لا يخفى عليه شيء من عمله ..

« فدعا عمر البريدَ فكتب معه إلى أبي عبيدة .. ان يُقيم خالدًا .. ويعقله بعمامته .. وينزع عنه قلنسوته .. حتى يعلمكم من اين أجاز الأشعث .. أمن ماله ام من مال إصابة أصابها؟ فإن زعم انه فرّقه من إصابة أصابها فقد اقرّ بخيانة .. وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف ..

« واعزله على كل حال .. واضمّ اليك عمله ..

« فكتب ابو عبيدة إلى خالد .. فقدم عليه ..

« ثم جمع الناس .. وجلس لهم على المنبر ..

« فقام البريد^(١) .

« فسأل خالدًا : من اين أجاز الاشعث؟

« فلم يجبه ..

« و ابو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ..

(١) اي : رجل البريد ..

« فقام بلال فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ..
« ونزع عمامته ..
« فلم يمنعه سمها وطاعة ..
« ووضع قلنسوته ..
« ثم أقامه .. فعقله بعمامته ..
« وقال : من أين أجزت الأشعث .. من مالك أجزت أم من إصابة
أصبتها ؟
« فقال : بل من مالي .
« فاطلقه .. وأعاد قلنسوته .. ثم عممه بيده ثم قال : نسمع
ونطيع لولاتنا .. ونفخّم ونخدم موالينا ..

لا يدري !

« وأقام خالد متحيراً .. لا يدري أمعزول أم غير معزول ؟!
« ولا يُعلمه أبو عبيدة بذلك تكريمة وتفخمة ..
« فلما تأخر قدومه على عمر ظنّ الذي كان ..

« فكتب إلى خالد بالاقبال عليه ..
« فرجع إلى قنسرين .. فخطب الناس وودّعهم ..
« ورجع إلى حمص فخطبهم .. ثم سار إلى المدينة ..
« فلما قدم على عمر .. شكاه .. وقال : قد شكوتك إلى المسلمين ،
فبالله إنك في أمري لغير مجمل ..
« فقال له عمر : من أين هذا الثراء ؟
« قال : من الانفال والسهان .. ما زاد على ستين الفاً
فلك ..
« فقوم عمر ماله .. فزاد عشرين الفاً .. فجعلها في بيت
المال ..
« ثم قال : يا خالد .. والله إنك عليّ لكريم .. وإنتك إليّ
لحبيب ..
« وكتب إلى الامصار : إني لم أعزل خالداً .. عن سخطة ..
ولا خيانة .. ولكنّ الناس فخموه .. وفتنوا به .. فخفتُ أن
يوكلوا اليه ..
« فأحبيت ان يعلموا ان الله هو الصانع .. وأن لا يكونوا
بعرض فتنة .

« وعوضه عما اخذ منه .. » !!

*

هذا مجمل القصة ، عند ابن الاثير ..

ولكن القصة اكبر من ذلك بكثير !

القصة هي : لماذا يفعل هذا بخالد !!

لماذا يعزل عمر خالداً ؟!

لماذا يستفتح عمر عهد خلافته بعزل خالد ؟!

إن التاريخ ليتغيب على عمر .. ويطلب تفسيراً لما فعل ؟!

لماذا يصر عمر على إنزال خالد عن عرشه وهو في قمة

مجده ؟!

لماذا هذا يا عمر !

فسرّ لنا يا من جعل الله الحق على لسانه وقلبه .. لماذا

عزلت خالداً .. ولم يعزله رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ولم يعزله أبو بكر .. وهما اعلم منك بالرجال ؟!

تقدّم يا عمر .. ودافع عن سياستك فان التاريخ يتغيظ عليك!!

فكان جواب عمر :

« إني لم أعزل خالدًا ..

« عن سخطة ..

« ولا خيانة ..

« ولكنّ الناس فتحّموه ، وفتنوا به ..

« فخفتُ ان ياكلوا اليه ..

« فاحببتُ أن يعلموا أنّ الله هو الصانع ..

« وان لا يكونوا بعرض فتنة .. » !!

هذا هو جواب عمر .. وهو نص المنشور الذي أذاعه في الأمصار كلها .. أي على مسامع العالم كله .. حين عزل خالدًا عزلاً نهائياً .. واستدعاه إلى المدينة !!

فهل كان عمر صادقاً فيما قال !؟

نعم .. نعم .. لأن عمر لا يكذب .. بل كان بلاؤه دائماً يأتي من صراحته المطلقة في إعلان الحق والجهر بالصدق ..

وفي الحديث :

« رحم الله عمر .. تركه الحق .. وما له من صديق » !

وفي الحديث ايضاً :

« إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » !!

إذا .. فما قاله عمر في منشوره إلى الامصار .. حق ..

وإياك إياك أن يلعب بك شيطانك فتظن أن ما قاله عمر هو

من الأعيب الساسة التي يواجهون بها ثورة الجماهير !!

كلا .. ثم كلاً .. إن عمر لا يلعب بالالفاظ .. وإنما هو

ينطق بالحق .

فلننظر إلى كل كلمة في منشور الفاروق نظرة تغوص إلى

الأعماق ، لنصل بذلك إلى سر تلك القضية الكبرى .. قضية عزل

خالد !!



درس .. في التوحيد؟

عندما شبا إسماعيل وترعرع وسعى بين يدي أبيه إبراهيم ..

كان الدرس :

﴿ انى ارى فى المنام انى اذبحك ﴾ ١٢

لماذا؟! حتى لا يلتفت الخليل عن خليله .. إلى إسماعيل !!

وعندما قالوا :

« ان نضاب اليوم من قلة » ..

بعد فتح مكة ..

كان الدرس هو الهزيمة .. تدميراً للاعجاب من النفوس :

﴿ ويومَ حنينٍ .. اذ اعجبتكم كثرتكم .. فلم تفتن عنكم

شيئاً .. ﴾ ١

هذا أسلوب من أساليب التربية الإلهية للنفوس ..

لاقتلاع الالتفات عن الله .. واقتلاع الاعجاب من القلوب ..
والامثلة هاهنا لا تُحصى .. وإنما نقول إن عمر ، وهو هو
من الرشاد يعلم أن انتصارات خالد المتلاحقة ستصبح حجاباً بين
الناس وربهم .

وها هنا الفتنة .. التي لو لم تُحسم .. لم ينزل النصر على
المسلمين ..

ماذا اريد ان اقول ؟

اريد ان اقول أن عزل عمر خالداً ، كان درساً ثميناً عالياً
فريداً من دروس التوحيد العليا ..

أنقذ بعزله قلوباً قد تحتجب بانتصارات خالد عن ربها

وهذا اخطر ما يصيب النفوس في توحيدها ..

وهو الركون إلى الاسباب .. ونسيان أن الله هو الناصر ،

وليست الاسباب !!

وقد كان للفاروق سوابق من هذا القبيل .

قطع الشجرة التي بايع تحتها ١٤٠٠ من الصحابة رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم ، بيعة الرضوان ، حسماً للفتنة واقتلاعاً للركون
إلى الاسباب .

وأعلن ان الحجر الاسود لا يضر ولا ينفع ولولا أنه رأى رسول

الله .. صلى الله عليه وسلم .. يقبله ما قبله !
إنه رجل توحيد ..
يغار أن يُمس التوحيد من قريب أو بعيد !
وها هو أمام خالد ..
كل الناس تتنادى : خالد .. خالد .. خالد ..
الاقاصيص تنسج في جميع أنحاء العالم حول خالد ..
فأصبح خالد حديثاً يشغل الأعداء والأصدقاء على حد سواء ..
الرجل الذي لا يُقهر ..
السيف الذي لا يُغلب .
القائد الذي لم يُهزم قط .
سيف الله .. ميمون النقيبة .. المنصور بالرعب .. إذا نزل بساحة
قوم فساء صباحهم ..
امير أمراء جيوش الاسلام ..
قاهر مسيامة الكذاب ، الرجل الذي قضى على الردة ..
الرجل الذي دوّخ الامبراطورية الفارسية ..
وها هو يجهز على الامبراطورية الرومانية من بعدها ..

أما لانتصارات خالد من آخر!؟
إذا شغل الناس بذكر خالد .. عن ذكر الله ..
وهذا هو الحجاب .. حجاب الاسباب ..
فأراد عمر .. أن يكشف هذا الحجاب ..
فعزل خالداً .. فسقط الحجاب .. وعلم الناس أن الله هو الصانع ،
وليس خالداً ..

وصحح عمر التوحيد للناس ..
فاستنقذهم من فتنة كادت تحجبهم عن ربهم .
وأعلن ذلك في منشوره .. فكان درساً ثميناً في التوحيد !

ولكن الناس فخموه ؟

« إني لم اعزل خالداً .. عن سخطة .. ولا خيانة ..
« ولكن الناس فخموه .. » ، !!

لست ساخطساً على خالد .. وليس بنفسى أى شيء يسخطني

عليه ..

وهذا ينفى وساوس من قال أن عمر كان يضطغن على خالد
أنهما تصارعا في الصغر فكسر خالد ساق عمر .. فما زال يضطغنها
عليه !!

وينفي كذلك ان عمر كان يُحصى عليه موضوع زواجه بامرأة
مالك بن نويرة .. إلى غير ذلك من الاقاصيص .

فإذا قال عمر « لم اعزل خالدًا عن سخطة » .. وجب على الفور
أن نوقن ان نفس عمر راضية تمامًا عن خالد .

ولا خيانة؟! ليس هناك أي مأخذ على تصرفات خالد
العمامة ..

ولكن الناس فحّموه؟! وهذه ليست جريمة خالد .. وإنما هي
جريمة الناس .

الرجل العظيم .. إذا اشتهر .. وصار حديثاً على الالسن .. دفع
هو الثمن .. ثمن هذه الشهرة ..

وكم من عظيم ، كانت شهرته سبب بلائه ومتاعبه !

إن خالدًا لم يسع إلى الشهرة ، ولكن هي سعت اليه !

ولم يقل للناس اذكروني .. ولكن هم ذكروه وفخّموه واطلقوا
بخيالهم في بطولاته ..

لا ذنب له في هذا .. ولكن العجيب دائماً أن يدفع العظيم ثمن
هذا التفخيم !

وُخذها دائماً قانوناً ..

كل ممتاز .. يُبتلى في امتيازه .

وتأمل في ذلك يوسف .

كان ممتازاً .. فحقده عليه إخوته لأنه ممتاز .

كان الامتياز في نظر المتخلفين جريمة كبرى !

فخفتُ ان يوكلوا اليه ؟

« ففتنوا به .. »

« فخفتُ ان يوكلوا اليه .. » !!

وفتنوا به ؟!

واحتجبوا به عن ربهم ..

وذكروه ولم يذكروا ربهم ..

ونسبوا النصر اليه .. ولم ينسبوه إلى الله ..

« فخفت ان ياكلوا اليه » ان يتركهم الله إلى خالد ، ويتخلى عنهم .. ما داموا قد ركنوا اليه .. وظنوا أن النصر معقود عليه ..

وها هنا يأتي العقاب .. ويبطئ النصر .. وتكون الطامة والهزيمة ..

الله هو الصانع ١٤

« فأحببتُ ان يعلموا انّ الله هو الصانع ..

« وأن لا يكونوا بعرض فتنة ، اا

فأحببت أن يعلموا ١٤. أريد ان اعلم الناس جميعاً هذا الدرس الشمسين ..

أنّ الله هو الصانع ١٤!

ان يعودوا إلى التجريد في التوحيد .

ان يعلموا ان الله هو الصانع للنصر .. وليس خالداً هو

صانع النصر .

سوف اعزل خالداً .. وسوف تستمر الانتصارات بغير
خالد ..

لأن النصر من عند الله .. لا من عند خالد ..

★

فالقضية قضية توحيد ..

وعمر عملاق من أعلى عمالقة التوحيد ..

إذا آنس مساساً بالتوحيد .. تحتم عليه باعتباره خليفة المسلمين ،

أن يبادر إلى تصحيح التوحيد ..

فاذا لزم الامر عزل شخص فليعزل ..

ولو كان المعزول خالداً !!

★

وهكذا تاذلت مكارم الاخلاق من ابي عبيدة ..
في هذا المشهد الخالد .. مشهد محاكمة خالد !!
نفثَ امر أمير المؤمنين .. في رفق واطف .. توقيراً للقمام
سيف الله المسلول ..
رضي الله عنها !!

في عام الجماعة ..

ابو عبيدة يقول لعمر :

لا حاجة لي فيها ..

يا أمير المؤمنين !؟

مبادئ خطيرة جداً ؟

يا أيها العرب .. الذين يتسولون نظماً من هنا وهناك ..
يا أيها المسلمون .. الذين ضلوا عن حقائق دينهم ، فاضلوا
أنفسهم ، وأضلوا كثيراً .

يا أيها الناس جميعاً .. اعطوني آذانكم .. واسمعوا ..

وأعطوني عقولكم وتفكروا .. واعطوني قلوبكم واشهدوا ..

هذا عمر .. اشمل وأكمل مثال لتطبيق الإسلام في التاريخ ..
يضع أخطر مبادئ اقتصادية في الأرض ، مبادئ تعتبر وراء
الاشتراكية ، ووراء الشيوعية ، ووراء المثالية ، ووراء الانسانية ..

إذا ماذا تكون تلك المبادئ يا صاح ؟

إنها الربانية الآتية من عند الله ، إلى محمد رسول الله ، ثم إلى

عمر خليفة رسول الله !

ما القصة إذا ؟

يا لها من قصة !. فاسمعوا ..

لقد اراد الله تعالى ان يمتحن عمر ، ويمتحن الناس على عهده
بالشدة ، كما امتحنهم بالرخاء ، لينظر ماذا يفعلون ، ويكشف حقيقة
معادتهم أمام العالمين .

لقد امتحن الله تلك الأمة بالرخاء ، ووضع كنوز الأرض بين
يديها ، فنجحت في الامتحان ، وتبدت للعالم كله ، أمانة ، وصدقاً ،
وزهداً ، ووفاء ، وشكراً لله ..

فأراد ربك ان يمتحنها بالشدة ، وبأقسى أنواع الشدة ، لينظر
معدنها من الزاوية السوداء في الحياة .. تطبيقاً لاسلوب الله في الحياة
عموماً ..

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ..

وقد كان .. فبعد ان ابتلوا بالرخاء ، بأوسع انواع الرخاء ،
حين جعلهم أعز اهل الارض ، واغنى اهل الارض .. ابتلاهم بالشدة
في اقصى درجاتها ..

بالجوع ثم بالوباء ..

نحن في أخريات السنة السابعة عشرة ، وها هو القدر يفاحىء

الامة بهولين عظيمين ، الجماعة التي انتشرت في بلاد العرب من اقصى جنوبها إلى اقصى الشمال ، والتي دامت تسعة اشهر هلك فيها الزرع والضرع والحراث والنسل ، وأصاب الناس منها أشد الجهد والبلاء .

والهول الثاني : طاعون عمّواس الذي امتد من الشام إلى العراق ، فافى الألوف من خيرة المسلمين ، رجالاً ، ونساء ، جنداً ومدنيين ، حتى ارتاع له عمر ، وارتاع له الناس جميعاً أيما ارتياح .

عام الرمادة !

كان سبب الجماعة أن أمسك المطر في شبه الجزيرة العربية كلها تسعة أشهر كاملة ، وتحركت الطبقات البركانية من ارضها ، فاحترق سطحها ، وكل ما عليه من نبات ، فصارت الارض سوداء مجدبة كثيرة التراب ، فاذا تحركت الريح سفت رماداً .

لذا سمي هذا العام عام الرمادة ا

ونشأ عن إمساك المطر ، وهبوب الرياح ، وهلاك الزرع والضرع ، جوع أهلك الناس والأنعام ، فقد فني الكثير من قطعان الغنم والماشية ، أو جف ما بقي منها ، حتى كان الرجل يذبح الماشية

فيعافها لقبحها ، رغم جوعه وبلواه .

من ثم افقرت الأسواق ، فلم يبقَ فيها ما يباع ويشترى ، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها ، إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم .

وطال الجهد ، واشتد البلاء ، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع ، والجُرذان ، يخرجون ما فيها .

كان أهل المدينة أحسن من غيرهم حالاً اول العهد بالمجاعة . فالمدينة حضر ادّخر أهلها حين الرخاء ما اعتاد أهل الحضرة ادخاره ، فلما بدأ الجد ، جعلوا يخرجون ما ادخروا يعيشون منه .

أما أهل البادية فلم يكن لهم مدخر ، فاشتد بهم الكرب من أول الأمر .

ثم إنهم هرعوا إلى المدينة يجارون إلى أمير المؤمنين بالشكوى ، ويلتمسون لدى أهلها فتاتاً يقيمهم .

وازداد هؤلاء اللاجئون عدداً فضاقت بهم المدينة ، واشتد بأهلها البلاء ، فصاروا في مثل حال أهل البادية جوعاً وجدباً .

ماذا صنع عمر ؟

اشتدت المجاعة .. وجيء عمر بخبز مفتوت بسمن ، فدعا رجلاً بدوياً فأكل معه ، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك إلى جانب الصفحة .

فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك ؟

وأجابه الرجل: أجل ! ما أكلت سمناً ، ولا زيتاً ، ولا رأيت آكلًا له منذ كذا إلى اليوم !

وقامت بنفس عمر أعتى ثورة يمكن ان تقوم بنفس رجل .. وأقسم .. لا يذوق لحماً ، ولا سمناً ، حتى يمينا الناس !!

وظل على هذا العهد حتى أذن الله ، أفعاد المطر ، وزال عن الناس الجذب !

*

اول مبدءاً خطير ؟

. وعمر حين يقسم .. إنما هو الحق يقسم .. يعاهد الله الا يذوق
لحمًا ولا سمناً ، حتى يعود الناس إلى ما كانوا عليه من الرخاء .
وإذا عاهد عمر ربه ، فانما هو العهد النافذ الذي يدل على
يقظة عمر الشديدة ، وحساسيته البالغة نحو الناس ، وحقهم عليه
كحاكم لهم ..

قدمت السوق عكّة من سمن ، ووطب من لبن .. فاشتراهما
غلام له بأربعين درهماً .

وذهب اليه الغلام فقال له : قد أبر الله بينك ، وعظم أجرك ،
قدم السوق وطب من لبن ، وعكّة من سمن ، فابتعتها
بأربعين .

قال عمر : اغليت .. فتصدقّ بهما ، فاني اكره أن آكل
إسرافاً .

وأطرق عمر هنيهة ثم قال : كيف يعنيني شأن الرعيّة إذا لم
يمسني ما يمسهم ؟

وذلك هو اول المبادئ الخطيرة التي وضعها عمر ، في عام
المجاعة ..

ومن هو عمر حين قال هذا المبدأ الخالد؟

هو الرجل الذي يحكم العالم شرقه وغربه بلا منازع!

ولو امكنك الآن ان تتصور الكتلتين الشرقية والغربية يحكمهما
جميعاً رجل واحد، بدولهما ومقدراتهما وامكانياتهما الواسعة ،
لاستطعت ان تتصور مدى السلطة والامكانيات التي كانت بيد
عمر ، حين نطق بذلك المبدأ .

لو شاء عمر لعاش في قصور وترف ، وما عابه احد ، فهو رجل
يحكم العالم كله !

ولو شاء لتعالى على الناس ، وهو حقيق ان يتعالى ، فان
أحقر صعلوك على الارض يتعالى ، فما بال عمر لا يتعالى وقد خضعت
له الملوك ؟

ولو شاء لعاش ولو عيشة مقبولة مما يعيشها اوساط الناس ،
إن اراد ان يكون زاهداً ، ولحمد الناس منه ذلك وشكروه .

ولكنه اجتاز كل تلك الأحوال ، وسما فوقها جميعاً ، واقسم
قسمه الخالد الحق :

« لا يندوق لحماً ولا سمناً حتى يمينا الناس ، ! »

لماذا يا عمر تحرم على نفسك اللحم والسمن ، وقد احلها
لك الله ؟

لماذا تشدد على نفسك هذا التشديد ؟

إنما رسمت بما فعلت دستوراً خالداً إلى يوم القيامة للجماهير
والملوك .. انه ينبغي على من حكم الناس ، ان يعاني الآلام التي
يعانيها اقل انسان في الناس .

حين جاءك غلامك بسمن وابن .. و اشار عليك ان تأكل منهما ،
ما دام في السوق مثلهما .. رفضت يا عمر .. واطلقتها خالدة :

كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما يمسهم ؟

وهنا ينبغي ان نقوم جميعاً ، فرادى ، وجماعات ، وبتفكير
في قول عمر .. وسوف نجد فيه حلاً لمشاكلنا وخلافاتنا ..

وأنا أسارع ، وادخل المعركة ، واقول لهم : الحق هناك .. مع
عمر .. تعالوا ننظر ماذا عن عمر ؟

ها هو يقول : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما
يمسهم ؟!

ما معنى هذا ؟

معناه ان عمر يقرر ان الحاكم عليه ان يعاني بنفسه آلام

الشعب ، ويندوق بنفسه تجربة الفقر ، وألم الحرمان .. حتى يستطيع أن يعنى بمشاكل الفقراء ، وأن يحل آلام المحرومين .

لذلك حرّم على نفسه أن يأكل شيئاً لا يأكله كل فرد في الشعب ، سهرم السمن واللحم ، حتى يأكل كل فرد السمن واللحم ..

فماذا يؤخذ من هذا ؟

يؤخذ من ذلك أن عمر يفرض على اهل الحكم أن يكونوا على مستوى أقل الطبقات في الشعب حتى يذوقوا نفس الآلام التي تعانيها تلك الطبقات ، فيعملوا على إزالة مسامنه يشكون .

فالرجل الجائع هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الجوعى .

والرجل الضائق هو الذي يقدر على حل مشاكل الضائقين .

وهكذا .. وهو أخطر مبدأ يطلقه عمر .. وفيه رد على اولئك

الذين يعيشون في القصور بين اللذة والنعيم ، ثم يتكلمون عن مشاكل وآلام الجماهير !

هؤلاء كذابون ، لأن الذي يشكو من التخمة ، لن يشعر بالجوع ،

والذي يشكو من الترف لن يشعر بالفقر .

وهذا هو حكم عمر في القضية ، قضية العالم العربي ، في

وقتنا هذا ..

إنه بحكم أن الإسلام يفرض على الأمة أن تأكل كلها ، وتسكن كلها ، وتشرب كلها ، على حد سواء .. لأن هذه ضرورات الحياة ..

فإذا جاءت تجوع كلها .. وإذا اكلت أكلت كلها ..

هذا هو الإسلام أيها المختلفون .

إذا أردت ان تصلح الفقراء ، فأمر عليهم فقيراً ، واعمل على أن يظل فقيراً ..

وإذا أردت ان تصلح الجوعى ، فأمر عليهم جائعاً ، واعمل على أن يظل جائعاً .

عمر يسوّد وجهه !

ونفذ عمر ما عاهد الله عليه .. حتى رآه الناس ، عام الرمادة ، وقد اسود لونه - وكان أبيض مشرباً بحمرة - ذلك أنه كان يأكل السمن واللبن واللحم ، فلما أحمل الناس ، حرمها على نفسه ، وأكل بالزيت ، وأكثر من الجوع حتى كان الناس يقولون ، وقد رأوا ما أصابه ، لو لم يرفع الله المحل ، عام الرمادة ، لظننا أن عمر يموت

همّاً بأمر المسلمين .

واسود وجه عمر .. ونحل جسمه .. وقرقرت امعاؤه ..
من الجوع ..

فليقارن السادة ، حكام المسلمين انفسهم .. بما كان عليه عمر
في ذلك الأوان ؟

كان العرب في مجاعة .. والشعوب العربية الآن في مجاعة ..
ملايين منها لا تجد ضرورات الحياة ..

وهناك حرم عمر على نفسه اللحم والسمن ، حتى نحل واسود ،
وهنا ورغم تشابه الظرف ، تجد كثيراً من حكام المسلمين لا يجرمون
على أنفسهم شيئاً من اطياب الحياة .. بل يعيشون في ترف دونه
كل ترف ا

الا إن الاسلام برىء من هؤلاء .. برىء منهم وإن زعموه
واعتنقوه وادعوه ..

لأن الاسلام تنفيذ وتطبيق ، لا أمانى وادعاءات .

حرام على ملوك المسلمين ان يعيشوا في القصور ، والأغلبية الساحقة
من شعوبهم على التراب

حرام على ملوك المسلمين ان يتخموا من المملكات ، وغالب جماهيرهم
لا تجد الخبز والضرورات .

حرام على ملوك المسلمين ان ينفقوا الملايين في الجواهر والمتاع ،
وشعوبهم تحتاج إلى تلك الملايين لتبني بها المصانع للعاطلين .
هذا هو منطق عمر ، منطق الاسلام ، منطق الحق يا من
تعيشون في اوهام !

لأنتم اشد خطراً على الاسلام من الكفار واللاذنيين والشيوعيين
والرأسماليين !

ذلك ان الناس إذا دعوا إلى الاسلام ، قالوا : وما الاسلام ..
اليس هو ما يفعله ملوككم ، واغنياؤكم ، من مبادل ومفاسد ، وترف ،
بينما شعوبكم تئن من الطوى ، وتتوجع من الأمراض ؟

فإذا نقول لهم وقد صدقوا في زعمهم ؟

نقول لهم : كلا .. إنما الاسلام هو عمر ، حين جاع ، وجاع ،
وحرّم على نفسه السمن واللهم ، حتى يأكلهما كل الناس .. أما
هؤلاء فليسوا من الاسلام في شيء إنما ادعياء .

يا غوثاه ! يا غوثاه !

إن رجلا كعمر ، لا يسوس الشعوب سياسة الشعراء الذين

يقولون ما لا يفعلون ..

كلا .. وإنما هو يعمل لرفع المجاعة عن الشعب ما استطاع اليه
سبيلاً ، وذلك بعد ان يكون هو نفسه مثالاً حياً للشعب كله ..
جاع عمر ، وحرّم على نفسه اللذات طول المجاعة .. ثم انطلق
يصدر اوامره إلى نوابه على الاقطار .

كتب إلى عمرو بن العاص بفلسطين يقول .

« سلام عليك اأما بعد ، أفتراني هالكاً ومن قبلي ، وتميش
انت ومن قبلك ا فياغوثةاه اياغوثةاه اياغوثةاه ا ،

عمر يتفجع ، ويتوجع ، ويستنجد .. لا لنفسه ، كلا ، وإنما
للشعب ، للجسائعين .

واجابه عمرو :

« اما بعد .. فلبث لابعثن اليك بهير اولها عندك وآخرها
عندي ، ..

انظر . تجاوب ، تفاعل ، كل إنسان يتالم لما يصيب الآخر ..
عمر يستغيث ، وعمرو يستجيب فوراً ، تماماً كالجسد الواحد ، إذا
شتكى عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر .

ليس كمثلنا الآن .. يجوع قوم بيننا .. فيقول الآخرون : وما

لنا وهؤلاء .. حسبنا انفسنا ..

لم يكونوا كذلك ، وإنما كانوا سباقين إلى الخير ، سباقين إلى إغاثة
الملهوف .

وبعث عمر بمثل هذا الكتاب إلى معاوية بن أبي سفيان ..

وإبي عبيدة بن الجراح بالشام ..

وإلى سعد بن أبي وقاص بالعراق ..

فأجابوه جميعاً ، بنحو مما أجاب به عمرو بن العاص ..

كل أعضاء الجسم تستجيب لنجدة أي جزء يصاب ، او يحتاج
من الجسم .. تماماً كما شبههم رسول الله .. مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد ..

أبو عبيدة اسرع الامراء استجابة ؟

وكان ابو عبيدة بن الجراح اسرع الامراء استجابة لنداء عمر ،

وغياثا لأهل شبه الجزيرة ..

سبقتهم جميعاً ، فقدم في اربعة آلاف راحلة محملة طعاماً ..

فولاه عمر قصصته فيمن حول المدينة ..

فلما فرغ من ذلك امر له عمر بأربعة آلاف درهم ..

فقال : لا حاجة لي فيها يا امير المؤمنين ! انما اردت الله وما

قبيله ، فلا تدخل علي الدنيا !!

ما هذا يا ابا عبيدة ! اين لصوص الشعوب والجمهير ، ليتعلموا

من جميل فعالك ؟

فاجابه عمر : خذها ، فلا بأس بذلك إذ لم تطلبها ، وإني قد

وليت لرسول الله مثل هذا ، فأعطاني بعد أن قلت له مثل ما

قلت لي ..

وقبض ابو عبيدة المال ، وانصرف إلى عمله ، وهذا مبدأ آخر

خطير ..

إن عمر يقرر أن على الدولة أن تدفع أجراً إلى من يعمل لها ،

وعلى من يعمل أن يأخذ ذلك الأجر ويستمتع به لأنه حل له .

فهل هذا عمر ، وفعله ابو عبيدة ، اقتداء بفعل رسول الله ..

ولا ينقص ذلك من أجر العامل عند الله ..

ومن هنا نشأت قاعدة المهايا والأجور للعمال في الدولة .

إنهم يؤدون أعمالاً عامة ، وياخذون أجوراً عامة من خزانة
عامة ..

ومن هنا ندرك كيف كانوا يهتمون بأهالي القرى قبل اهالي
المدن والعواصم .

ويطعمون البعيدين قبل الأقربين .. وأن ذلك كان سياسة عامة
من الدولة تتبعها في شأنها كلها .

وهذا علامة الحكم الصالح ، أنه يمد الخدمات العامة إلى القرى
قبل العواصم ، حتى يطمئن الأبعدون ان حقوقهم واصل اليهم قبيل
المتركزين في العواصم .

والعكس تجده في الحكم الفاسد .. تجد العواصم زاهرة ، عامرة ،
تستمتع ، بينما القرى ميتة لا أثر فيها لحياة أو إصلاح !

الدولة ملزمة باطعام الجميع ا

وبعث عمرو بن العاص الطعام من فلسطين على الابل ، وفي السفن
من ثغر أيلة (العقبة حالياً) .

بعث في البحر عشرين سفينة تحمل الدقيق والودك ، وبعث في

البر الف بعير تحمل الدقيق .

وبعث معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعير من الشام .

وبعث سعد بن أبي وقاص الف بعير من العراق تحمل كلها

الدقيق ..

هذا خلا خمسة آلاف كساء أرسلها عمرو ، وثلاثة آلاف عباءة

أرسلها معاوية .

امدادات سريعة ، تتوالى لتجدة الجزيرة العربية الجائعة ..

وهكذا كانوا ، يغيثون بعضهم بعضاً ..

فماذا كان مسلك عمر إزاء هذه الامدادات ؟

أصدر أمراً بتعيين وزير للتموين يشرف على توزيع الامدادات

على أهل الأمصار والبادية ..

ثم ماذا ؟

ثم أشرف بنفسه على إطعام أهل المدينة ومن وفد اليهسا !

وقد يقول قائل : وهل اطعام الطعام أمر مهم حتى يباشره

رئيس الدولة بنفسه ؟

وأقول : نعم .. إنه أمر إنساني .. شعب جائع ، فلماذا رأى

رئيسه يطعمه بنفسه ، قرت عينه ، واطمأن قلبه ، وانشرح

صدراً ..

وكأين من أمر يعتبره الناس شيئاً تافهاً ، وهو خطير الأثر في نفوس الشعوب .

وانصرف مندوبوه ، إلى أرجاء شبه الجزيرة يخففون عن الناس بلواهم ..

فلقي المندوبون ما بعث به سعد بن أبي وقاص من الأقوات عند افواه العراق ، فأقاموا ينحرون الجُرُ ، ويطعمونهم الدقيق ، ويلبسونهم العباء ، حتى رفع الله البلاء .

اللحم ، والدقيق ، والملابس .. الغذاء والكساء ، تلتزم به الدولة ازاء الجماهير .. ضرورات الحياة .

وقال عمر لمندوبه الذي بعثه يلقي عير الشام :

« اما ما لقيت من الطعام فملُ به إلى اهل البادية . فاما الظروف فاجعلها حُفّاً يلبسونها ، وأما الابل فانحرها لهم ياكلون من لحومها ، ويحملون ودكها ، ولا تنتظر ان يقولوا ننتظر بها الحيا (المطر) .. وأما الدقيق فيصطنعون ، ويُجزون حتى يأتي أمر الله بالفرج ، .. »

اما عمر فقد تولى اطعام اهل المدينة ومن اجتمع اليهم بنفسه .. فكان يادم الخبز بالزيت يجعله ثريداً ، وينحر بين

الأيام الجزور فيجعلها على الثريد ، وياكل مع القوم مما
ياكلون !

اشهدي ايتها الدنيا ماذا يفعل عمر .. حاكم الأرض كلها ؟
يعد الطعام للجماهير ..

ثم يجلس معهم ، وياكل مما ياكلون !
وجها لوجه ..

الحاكم والشعب .. ليس هناك حجب ولا عوائق ولا موانع ..
وإنما الجميع في المعركة ، وفي التجربة ..

وهذا أعلى أنواع الحكم ، وأرفع أنواع الديموقراطيات !

فكم تتعرض الدول لكوارث الفيضانات أو الزلازل أو البراكين ،
مما يؤدي إلى تشريد السكان وجوع المصابين ، فما علمنا أن رئيس
الدولة يذهب بنفسه إلى الكارثة ، ويحرم على نفسه ملذات الحياة
حتى ينعم بها المصابون !

ولكن عمر .. ذلك الذي تخرج على يدي رسول الله .. يضرب
للإنسانية كلها أروع الأمثال .. ويعلمها أرفع أنواع الديموقراطية ،
حين يمتنع عن تناول كل صنف ليس في متناول كل الشعب ،
وحين يعد الأطعمة بنفسه .. ويجلس وسط الجماهير يأكل
معها !

أسرة واحدة ، وهذا أبوهم ، يأكل معهم !
ما أسعد الشعب بعمر ، وما أسعد عمر بالشعب .. إن هذا
لهو الاسلام !
فلما اقبلت الابل من العراق والشام ، كان ينحر على مائدته
كل يوم عشرين جزوراً ، يطعمها الناس .
وكان له رجال مخابرات ، يجتمعون عنده إذا أمسوا ،
فيخبرونه بكل ما رأوه يومهم .
يريد عمر أن يعرف الحالة على الطبيعة ، ربما هناك جياح لم
يلتفت اليهم .

او عراة لم يهتم بأمرهم !
إحساس بالمسئولية فوق الإحساس نفسه !

احصائيات وبطاقات ؟

يظن كثير من الناس أن الإحصاء ، ونظام البطاقات شيء من
مستحدثات عصرنا الحديث .

وإلى هؤلاء نقدم الدليل على أن عمر قد استعمل ذلك النظام
أدق استعمال .

وأمر عمر ليلة بعد أن فرغ الناس من العشاء باحصاء الذين
طعموا على موائده ، فكانوا سبعة آلاف رجل
وأحصيت العائلات التي لم تأت ، والمرضى ، والصبيان ، فكانوا
أربعين ألفاً .

وزاد هؤلاء وأولئك بعد أيام .. فكان الذين تعشوا عنده عشرة
آلاف ، والآخرون خمسين ألفاً .

وكان العمال يقدمون في السحر إلى قدور عمر ، فيعملون حتى
يصبحوا ..

ثم توزع العصيدة ، ويوزع اللحم على المرضى والصبيان والأسر
من لا ينالون طعامهم على موائد أمير المؤمنين !
هذا هو الاحصاء في عهد عمر ..

دقة متناهية .. وصورة حقيقية لواقع الناس ..

لا تجد فيه تلك الاحصائيات الخيالية التي يقدمها كثير من حكام
هذا العصر إلى شعوبهم ، ليخدعواهم بها ، ويموهوا عليهم حقيقة
الدولة الاقتصادية .

واكثر من ذلك ..

كان عمر يتعهد هؤلاء جميعاً بنفسه ليطمئن إلى أنهم حصلوا على ما يدفع عنهم متاعب الجوع .

هذا هو عمر أيها الناس ..

صدق ونظام وعدل ..

ورب قائل يقول : وأين إذا نظام البطاقات الذي زعمت في

عهد عمر ؟

قالوا : وكان عمر يرسل الدقيق والتمر والادام إلى منازل

القادرين على تهيئتها ، لغذائهم شهراً بشهر .

يوزع ذلك عليهم في نظام يشبه نظام « البطاقات » أيام الحروب

في عهدنا الحاضر ..

يزيد فيه وينقص منه على قدر ما عنده !

ارأيتم ؟

شهر بشهر .. يزداد وينقص حسب كمية الموجود بخزائن

الدولة !

روعة والله يا عمر .. واي روعة ؟

أخطر مبادئ العدالة ١٢

وفي خلال تلك المعركة .. معركة الجوع ..

قال عمر :

« لو لم أجد للناس ما يسمهم ، إلا أن ادخل على أهل كل بيت ، عدتّهم ، فيقاسموم انصاف بطونهم ، حتى يأتي الله بالحيا (المطر) ، فعلت ، فانهم لن يلكوا على انصاف بطونهم » !!

تلاّلا يا عمر تلاّلا ..

تلاّلا واسطع على آفاق الارض ، في عصر الذرة ، عصر الفضاء ..
ليعلم اولئك المجانين ، انك قررت أخطر المبادئ العادلة قبل أن
يكونوا في الوجود .

وسوف افصل كلماتك الغاليات تفصيلا ، حتى يوقنوا أنك
أنت الاعلى .

« لو لم أجد للناس ما يسمهم إلا ان ادخل على أهل كل بيت
عدتّهم فيقاسموم انصاف بطونهم » ..

عمر يقرر ، وقراره هنا كالقرار الجمهوري في هذه الايام ، انه
إذا لم يجد كل فرد في الشعب ما يكفيه من القوت ، لاصدر أمره
بالزام كل أسرة ان تطعم مثل عددها !

الاسرة التي عددها خمسة ، ملزمة باطعام خمسة .

والتي عددها سبعة ، ملزمة باطعام سبعة .

وهكذا .. لماذا ؟

ليقاسموهم انصاف بطونهم !؟

مبدأ خطير جداً منك يا عمر ..

إنه يريد أن يقتسم كل فرد جائع نصف بطن الشعبان .

يا لها من فلسفة .. لا تصدر إلا من إشعاع رباني !

حتام هذا يا عمر ؟

حتى يأتي الله بالحيا ؟

حتى تنقضي المجاعة ، وتأتي الحياة الطبيعية ، ويجد كل إنسان

ما يكفيه كما كان .

ثم يعمل عمر حكمة الخطير فيقول :

« فاتهم ان يهلكوا على انصاف بطونهم » ١٢

صدقت يا اصدق قائل .. فانه لن يموت إنسان إذا اكل نصف

الطعام الذي تعودده ..

بل على العكس يزداد قوة .. فكانك يا عمر تضرب عصفورين
بمحجر ، تعفي الشبعان من أضرار الشبع ، وتنقذ الجوعان من
اضرار الهزال .

ومتى تقاسم الاثنان بطناً واحدة ، استقامت الحياة لكليهما ..

أفيلسوف أنت يا عمر ؟

كبرت كلمة تخرج من فمي ، إن أقول إلا كذباً !

ما كان عمر فيلسوفاً ، لا ولا شاعراً ، لا ولا خيالياً ، وما

الفلسفة ، وما الشعر ، وما الخيال ؟

اوحال كلها وظلمات .. وأوهام وظنون وافتراضات .. ولكنك

انت نور ، يقبس من نور محمد ، من نور الله ..

فاطلقتها يا عمر .. فيها جمال الحق ، وكال العدل .. وما زالت

تدوي ، وتدوي ، في الآفاق !

هل سمع العرب ..

هل سمع المسلمون ؟

هل سمع الغرب والشرق ؟

إن عمر قمة لا تدانى .

ماذا يستنبط من ذلك المبدأ ؟

نستنبط منه أن الدولة لها أن تسوس الشعب بما يحقق العدالة بين أفرادها جميعاً .

وأن الإسلام لا يعرف شيئاً اسمه الحرية الفردية إذا تعارضت هذه الحرية مع مصلحة المجتمع .

فصحة المجتمع في نظره هي الحد الذي ينبغي أن تنتهي عنده حرية الفرد .

وأن هذا المبدأ الذي أطلقه عمر ، هو مبدأ إسلامي بحت ، لأن عمر يتكلم بفهم إسلامي ، وهو أوضح صورة للتطبيق الإسلامي الصحيح ..

ليتنا نكتب تلك الجملة الخالدة عن عمر في لافتات عريضة ، ونعلقها في المدارس ، والجامعات ، وافواه الطرق ، وفي كل مكان ، ليعلم الشعب الأعمدة الخالدة من عدالة الإسلام .

الأمة كلها تلتجئ الى الله ؟

عظمة هذا الإسلام ، أنه نظام دنيوي ، يرتكز على أساس سماوي ..

وحياة بشرية ، متصلة بخالق الحياة نفسه !

فليس الاسلام مادة جافة قاحلة منقطعة عن خالق الوجود ،
كما هو الحال في النظام المادي .

ولا هو إحصاءات وأرقام وبيانات ، كما هو الحال في النظام
الاقتصادي الغربي .

كلا .. وإنما هو اقتصاد ومادة ، حية متحركة ، تأخذ حياتها ،
وحركتها من الله الحي الذي لا يموت .

ودائماً وأبداً تعتبر الشجرة الخضراء الضاربة بأصولها في
الأرض ، السامقة بفروعها في السماء ، أجمل وأفضل وأبهى من
الأعواد الجافة ، المقتلعة من الأرض ، هسياً تذروه الرياح .

تلك تمثل الحياة في بهجتها ..

وهذه تمثل الموت في كآبته ..

كذلك الاسلام .. إذا قورن بتلك النظم السائدة في أنحاء

العالم الآن ..

هو الشجرة الخضراء المتصلة بمصدرها وخالقها ..

أما تلك النظم فمجرد أعواد جافة ، لا صلة بينها وبين الله

مصدر الوجود والحياة ..

وسوف نرى الآن أبهج صورة من صور مجتمع عمر ، مجتمع
الاسلام .. وأنها نظام حي .. يستمد حياته من قيوم السماوات
والارض ..

بذل عمر ما هو فوق طاقة البشر ، في دفع الجماعة عن شعب
الجزيرة العربية ..

إلا أن المقادير كانت فوق طاقة الرجل .. ففشا المرض في
الناس ، وهلك منهم كثيرون .

فكان عمر يتعهد المرضى بنفسه ، ويبعث بالأكفان لمن مات ،
ويصلي عليهم .

وقد استطاع خلال الأشهر التسعة التي قاسى الناس فيها هول
الكارثة أن يخفف منها ما قدر أمراء الامصار على إمداده .

فلمّا قصرت مواردهم ازداد في شبه الجزيرة المرض والموت ،
وبلغ الهول منهم أشده .

كان عمر ، رأس الدولة ، طيلة الأشهر التسعة يصلي بالناس
العشاء ..

ثم يدخل إلى بيته ، فلا يزال يصلي حتى آخر الليل ، يضرع
إلى الله ألا يجعل هلاك الأمة على يديه .

فلما اشتد الهول عزم عمر على أن تخرج الأمة كلها تجار إلى
الله ، في وقت واحد ..

وقرر عمر أن يستسقي .

وكتب إلى نوابه في الأمصار ، أن يخرجوا بالناس في يوم
عينه لهم ، وأن يتضرعوا إلى ربهم أن يرفع البلاء عنهم ..

وفي الوقت المحدد للجميع ..

خرج عمر بالناس .. إلى الصحراء .. وعليه بُرد رسول
الله ..

فلما انتهى إلى المصلى ، صلى ، وصلى الناس .

وتضرع وتضرعوا ..

وجار إلى الله وجاروا ..

والح في الدعاء وألحوا ..

وبكى عمر بكاء طويلاً بين يدي ربه ، وبكوا ..

كان العباس بن عبد المطلب قائماً إلى جنبه ، فأخذ عمر بيده ،
ورفع رأسه إلى السماء وقال :

« اللهم إنا نستشفع بعم رسولك اليك ا » ..

ودعا العباس ربه ..

وبكى العباس بين يدي ربه ..

منظر خالد ..

أمة تخرج بأكملها إلى الفضاء ، وعلى رأسها أميرها .. تجار إلى
الله ، وتجار ، وتبكي وتتضرع ..
ما هذا ؟ .

هذا هو الفارق بين النظم المادية ونظام السماء ..

أو بين نظم الموتى ونظام الأحياء .

وهذا ما يجعلنا نتشبه بنظامنا ، نظام الاسلام ، ونعص عليه
بالنواجد ..

لأنه بعد أن يقدم لنا أكمل النظم ، اقتصاداً واجتماعاً ، يبقى
على صلتنا بالله الذي خلقنا ، تلك الصلة التي هي أئمن ما في الحياة ،
والتي إذا انقطعت فقد الانسان أعز ما في كيانه .

ففي الوقت الذي عالج فيه عمر المشكلة الاقتصادية التي عرضت
له أبرع علاج ، نجده يسارع ، ومن ورائه الأمة كلها إلى الله ،
يدعوه ويسأله ، ويبكي بين يديه ، أن يرفع القحط عن
البلاد ..

ورحل الأعراب إلى باديتهم ، وعادوا إلى مألوف حياتهم ..
ينظر الماديون إلى ذلك الاسلوب ، حين خرج عمر ومعه الشعب
كله يدعو الله سبحانه ، ينظرون إلى ذلك نظر المستهزئ ، لأنهم
لا يعترفون باله ، وبالتالي لا يعترفون بأي شيء يتعلق بهذا
الإله ! .

وهذا ما يجعلنا دائماً شديدي الاستمساك بتوجيه الاسلام .

وقف تحصيل الزكاة !

ثم ندخل إلى مبدأ آخر خطير يقرره عمر ..
ذلك أنه لم يبعث جباته عام الرمادة ليقبضوا الزكاة ، بل
أخبرهم إلى أن ارتفع الجذب .
فلما اطمأن الناس إلى العيش ، وكثرت عندهم مادته ، أمر الجبابة
أن يسيروا اليهم ، وأن يأخذوا من كل قادر حصتين .
حصاة عن عام الرمادة ، وأخرى عن العام الذي بعده .
وأن يقسموا إحدى الحصتين على المعوزين ، ويقدموا عليه
بالثانية .

وبذلك زاد في تخفيف الفقر عن الفقراء ، ثم لم يرهق غيرهم ،
ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به .

وهذا مبدأ آخر يضيفه عمر إلى مبادئه العديدة في سياسة
الدولة .. أنه لا ضريبة إذا نضب معين الضريبة ، ولا زكاة إذا جف
الضرع والزرع واستحال الأداء .

وهذا المبدأ هو ما يضي مع العدل والرحمة ، إذ لا يعقل أن
تحصل من الناس ضريبة عن رأسمال هلك وذهب ا

وهكذا كان عمر حاكماً رؤوفاً بشعبه ، يحس ما يحسون ،
ويألم كما يألمون ..

ابو عبيدة ...

يقول لعمر ...

« أفرأ من قدر الله ... »

يا عمر !؟

مضت المجاعة بآثارها الخيفة .. فأنزل الله بلاء آخر على
المسلمين ، يختبرهم به كما اختبرهم بالمجاعة !
فقد فشا الطاعون في عمّواس في أرض فلسطين ، ثم انتقلت
عدواه إلى الشام .. فجعل يفتك بكل من يصابون به فتكاً
ذريعاً .

لم يكن الواحد منهم يطعن حتى يدركه الموت .
وطال الوباء شهوراً ، هلك أثناءها من المسلمين خمسة وعشرون
الفاً بالشام وحدها .

وكان منهم ابو عبيدة بن الجراح ..
ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان .. وغيرهم كثير .
وانتشر الوباء في العسكرين ..
كما انتشر في المدنيين على حد سواء ..

أَفِرَّاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ يَا عُمَرُ !؟

وكان عمر قد نوى الذهاب إلى الشام ، تفتيشاً وتنظيماً لشئونهم ،
بعدما تم فتحه من أقصاه إلى أدناه .

وسار من المدينة ، حتى إذا بلغ سرع على مقربة من تبوك لقيه
أمراء الأجناد ..

ابو عبيدة بن الجراح ..

ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، فاخبروه أن
الأرض سقيمة ..

وقصوا عليه الطاعون وشدة إصابته .

وجمع عمر المهاجرين الأولين يستشيرهم : أيتابع طريقه إلى
الشام مع ما فيها من وباء ، أم يعود أدراجه إلى المدينة ؟
واختلف رأيهم ..

فمن قائل : خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى
أن يصدك عنه بلاء عرض لك .

ومن قائل : إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه .

واختلف الانصار ..

كما اختلف المهاجرون .

وعندما كثر الخلاف ، جمع عمر 'مهاجرة الفتح من قريش ، فاستشارهم ، فلم يختلف عليه اثنان ، بل قالوا جميعاً : ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء .

وأمر عمر فنأدى ابن عباس في الناس ليعدوا رواحلهم متى أصبحوا .

فلما صلوا الصبح التفت عمر اليهم وقال : « إني راجع فارجموا » .

لم يكن ابو عبيدة حاضراً مشاورات عمر ، وما انتهى اليه من رأي ، فلما عرف ذلك قال له :

« افرارا من قدر الله يا عمر ! » ..

ونظر عمر طويلاً إلى أبي عبيدة .

ثم قال :

« لو غيرك يقول هذا يا ابا عبيدة ا نعم ا فرارا من قدر

الله الى قدر الله ا » ..

وبينما الناس في هرج من هذا الشأن ، اقبل عبد الرحمن بن عوف ، فلما أخبروه الخبر قال : عندي من هذا علم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه » ..

وفرح عمر بهذا الحديث وقال : الحمد لله ، انصرفوا أيها الناس !

وعاد عمر ومن معه إلى المدينة ..

وعاد أمراء الأجناد ومن معهم إلى أعمالهم .

تلك هي الأقصوصة ..

فأين الحق من الاتجاهين ؟

الحق مع عمر .. أم مع أبي عبيدة ؟

الواقع أن الحق مع عمر ، وآية ذلك أن حديث رسول الله ..

صلى الله عليه وسلم يدعو إلى ما ذهب إليه عمر ..

فهو يدعو الناس ألا يقدموا على الوباء ، وألا يخرجوا من بلد

وقع فيه ..

وهو التوجيه الذي سبق اتجاه العصر الحديث إلى الحجر
الصحي في حالة الأوبئة ..

وبذلك سبق محمد صلى الله عليه وسلم .. كل نظام ، وكل علم
وصل ، أو يصل إليه انسان !

هذا أمر مقرر معلوم .. لا نبدىء فيه ولا نعيد .. وإنما نحن
بسبيل تلك القضية ..

قضية اختلاف أصحاب رسول الله في أمر الوباء ، فمن قائل
بالعود ، ومن قائل بالمضي رغم ما وقع من وباء !

ثم عرض عمر الأمر عليهم ، واختلافهم فيه .. ثم نزولهم في
النهاية على رأي من الآراء ..

ثم ازدادوا ثقة بذلك الرأي حين علموا فيه حديثاً لرسول الله !
ما هذا ؟

هذا اسلوب الشورى في الاسلام ، إذا عرض للحاكم أمر
عرضه على أهل الرأي ، حتى يهديه الله فيه إلى أحسن الآراء .

فإن وجدوا رأياً لرسول الله في الأمر ، وجب الأخذ به ، وإلا
اجتهدوا رأيهم .

وهذا نموذج للحرية العقلية عندهم ، يتناقشون ، ويختلفون ،

وكلمهم يريد الخير العام ، والخير للجميع .

حتى إذا اخذ الحاكم برأي ، وجب نزول الجميع عليه ،
المعارضون والمؤيدون .

ثم ما هذا الذي كان من أبي عبيدة .. حين قال لعمر :

« افرارا من قدر الله يا عمر ؟ » ..

وهذا الذي كان من عمر حين أجابه :

« لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ، نعم فرارا من قدر الله

الى قدر الله » ..

ثم أردف عمر :

« رأيت لو ان رجلا هبط واديا له 'عدوتان احدهما خصبة ،

والاخرى جردية ، اليس يرعى من رعي الجردية بقدر الله ، ويرعى من

رعي الخصبة بقدر الله ، ؟ »

ما هذا الذي كان بين العملاقين ، الفاروق وأمين الأمة ؟

إنه حوار خالد ، يكشف عن عبقرية عمر .. وإيمان

أبي عبيدة .

أما عمر ، فيرى أن الانسان يستعمل عقله فيما يعرض له من

أحداث ، ويأخذ بما يهديه اليه عقله ، وهو في أخذه ذلك إنما فرّ من
قدر الله إلى قدر الله ..

وهي لعمرى عبقرية فذة لك يا عمر ..

وأروع تحليل لتلك المشكلة ، مشكلة القدر ، التي انفتحت
البشرية عمرها تتجادل فيها ، وستظل تتجادل إلى يوم القيامة
فيها ..

عبقرية نادرة ، وعقلية عجيبة .. أن تقول .. فراراً من قدر
الله إلى قدر الله ..

إن كل ما يجري في الكون قدر الله ، فأنا حين آخذ باتجاه ،
واترك اتجاهاً آخر ، إنما أنتقل من قدر إلى قدر !!

وأما أبو عبدة فيريدها إيماناً وتسليماً ، وإقبالاً على الله
وتفويضاً !

وهكذا نجد الحق دائماً مع عمر ، يجريه الله على قلبه
ولسانه ..

وهذا الذي يراه الفاروق ، هو ما ينبغي أن تتأقلم الشعوب
العربية والاسلامية عليه ..

في هذه المرحلة من حياتها ، مرحلة الانطلاق نحو البناء
والتعمير ، ينبغي أن تعد لكل شيء عدته ، وأن تدبر أمرها وفق

أحسن أنواع التفكير ، واحكم أساليب السياسة ..
وتعلم بعد ذلك أن ما فعلت هو قدر الله ، وإن الله أمر بالتدبير
والتفكير وحسن السياسة ..
وهو ما ينبغي أن يكون عليه ساستنا وولاية أمورنا ، من عمق
في التفكير ، وبراعة في التدبير .

امات أبو عبيدة ؟!

وعاد عمر إلى المدينة ..
وكتب إلى أبي عبيدة :
« أما بعد ، فإني قد عرضت لي اليك حاجة ، أريد أن أشفاهك
فيها ، فمزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى
تقبل إليّ ، ..
وتاد أبو عبيدة الكتاب .. وأدرك أن عمر يريد أن يستنقذه
من الوباء .. وإن يحتفظ به حياً ليخلفه في إمارة المؤمنين ..
إلا أن أبا عبيدة كان اسمي من ذلك كله .

كان يرى ان القائد ينبغي عليه ان يبقى مع جنوده في السراء
والضراء ، يعاني ما يعانون ، ويألم كما يألمون ..

فقال : يغفر الله لأمير المؤمنين .

ثم كتب إلى عمر :

« اني قد عرفت حاجتك اليّ ، واني في جنود من المساهين لا
اجد بنفسي رغبة عنهم ، فلوست اريد فراقهم حتى يقضي الله
فيّ وفيهم امره وقضاه .. فحللني من عزمك يا أمير المؤمنين
ودعني في جندي ، .. »

وقرأ عمر هذا الكتاب .. فبكى ..

فسأله من حوله : أمات أبو عبيدة !؟

فأجاب ودموعه تسيل :

« لا .. وكان قد .. »

أرأيت ؟. كيف تسمو نفس أبي عبيدة ، فلا يرى ان يترك
جنوده في الطاعون ، وحول ناره ، ويذهب ليجلس حول أمير
المؤمنين بالمدينة .

أين هذا الفعل مما يكون من كثير من قادة العصر الحديث ،
حين يجبنون عن المعارك ، ويدفعون اليها الشعوب ، وهم في

قصورهم يلعبون !

لكن أبا عبيدة ليس كذلك ..

إنه يريد أن يموت بالطاعون كما يموتون !

إخلاص ، حب ، واجب ، تضحية ..

كذلك كانوا ..

ومات الرجل الثاني !

قرأ عمر كتاب أبي عبيدة .. فبكي ..

وشاور أهل الرأي في الوسيلة التي ينقذ بها أهل الشام من

الطاعون ..

ثم كتب إلى أبي عبيدة :

« إنك أنزلت الناس أرضاً عميقة ، فأرفعهم إلى أرض مرتفعة

نزهة ، ..

وإن أبا عبيدة ليفكر في تنفيذ هذا الأمر ، إذ طعن فمات !

ولقي أمين الأمة ربه راضياً مرضياً عنه .. مطعوناً .. شهيداً

بين جنوده ، واصحابه ، الذين احبهم واحبوه ، واخلص لهم
واخلصوا له ..

مات أبو عبيدة الرجل الذي رشحه أبو بكر ليخلف رسول
الله .. صلى الله عليه وسلم .. يوم السقيفة ، حين أشار عليهم
أن يختاروا احدهما :
عمر او ابا عبيدة ..

وفقد عمر بموته « الرجل الثاني » الذي كان يطمع أن يخلفه في
إمارة المؤمنين ..

وكان يطمع ان يستنقذه من الطاعون ، فبعث يستدعيه على
عجل إلى المدينة ..

إلا أن قدر الله كان أسبق ، وما تدري نفس بأي ارض
تموت ..

وخلف أبا عبيدة ، معاذ بن جبل ، فطعن ابنه ، ثم طعن
هو ، وماتا جميعاً .

واستخلف معاذ ، عمرو بن العاص .. فخطب الناس فقال :
« إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا

منه في الجبال ..

ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا في المرتفعات ، فأذهب ذلك شدة الوباء ، وانتهى بزواله .

وبلغت عمر خطة ابن العاص في مقاومة الوباء ، فلم يكرهها ، بل رأى فيها تنفيذاً للأمر الذي بعث به إلى أبي عبيدة .
وزال الطاعون .. بعد ان افنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين ألفاً .

وبعد ان انتقل من الشام إلى العراق ، ففتك فيه بأهل البصرة ، اشد مما فتك بغيرهم ..
وكان اهل البصرة من خيرة جند المسلمين .

فان زعموا انها حلال فاقتلهم !

ما سبب هذا الطاعون ؟

هل كان حتماً وامراً مقضياً ، ام كان بسبب معصية كانت من المسلمين ؟

قالوا : شرب جماعة من المسلمين ، من اهل الشام الخمر .

فكتب أبو عبيدة إلى عمر ،

« إن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، فسألناهم . فتأولوا
وقالوا : « خيرنا فاخترنا .. قال : فهل انتم منتهون ، ولم يعزم
علينا . »

لذلك جمع عمر اصحاب الرأي بالمدينة ، وقص عليهم ما جاء في
كتاب ابي عبيدة .

فأوا ان عبارة القرآن :

﴿ فهل انتم منتهون ﴾ ..

تعني الأمر .

اي : فانتهاوا ، واجمعوا على ان يُضربَ الذين شربوها ثمانين
جلدة ، وان يُفستقوا .

وكتب عمر إلى ابي عبيدة ان ادعهم ، فإن زعموا انها حلال
فاقتلهم ، وإن زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين .

ودعاهم أبو عبيدة ..

وسألهم على رؤوس الناس ..

فقالوا : إن الخمر حرام ..

فجلدهم ثمانين ثمانين .. وقال :

لِيَحْدُثَنَّ فِيكُمْ يَا اهل الشام حادث ١١

فكان الطاعون ..

★

ويذهب المتقدمون إلى اعتبار المعصية ، اي شرب الخمر ، هي سبب ذلك الطاعون ، على مذهب ما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ..

وسواء اكان هذا هو الحق ، او ان الحق هو ان الله اراد الطاعون ، ولا راد لقضائه .. فإن الدلالة التي نأخذها من القضية ان ذلك المجتمع كان فيه صفتان .

الصفة الاولى : دوام التطور .

لم يكن هناك حد معلوم لشارب الخمر ، فاستفتوا انفسهم واجمعوا على جلده ثمانين ، واخذوا بذلك ، واستمروا في حياتهم .. ومضوا ..

لم يقولوا ، لا نجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله ، ثم يقفون
متحجرين امام الأحداث ..

كلا .. وإنما فوراً يتناقشون ، وفوراً ينتهون إلى رأي ، وفوراً
ينفذون ذلك الرأي ..

قوم احياء يمضون مع الحياة سراعاً ..

وذلك هو المطلوب الآن منا كأمة تتطلع إلى الحياة الراقية ،
وتريد ان تأخذ مكانها الطبيعي بين الاحياء ..

يطلب منا سرعة التفاعل مع الاحداث ، وسرعة التطور مع
مطالب الحياة .. فإن لم نفعل مضت الحياة ، والقطننا بعبداً غير
أسفة علينا .

اولئك السادة الحالمون المتشائبون .. الذين ما زالوا يتناقشون
في أمور احلال هي ، أم حرام ، أمور كان ينبغي أن يفصلوا
فيها من مئات السنين ..

هؤلاء يجب أن يتحركوا ، ويتفاعلوا سريعاً ، وإلا لطوح الناس
بالدين كله غير أسفين عليه .

فما حرص الناس على دين لا يسعفهم بما يحتاجون اليه من شؤون
الحياة ؟

أما الصفة الثانية التي كان يتميز بها مجتمع عمر ..

فهي أنهم كانوا دائماً يخشون الله ، ويخافون أن يعاقبهم الله
بسبب معاصيهم ..

هذا أبو عبيدة ، ينذر أهل الشام ، حين شرب قوم منهم
الخمر متاولين فيقول :

« ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث .. »

إنه شديد الخوف من الله أن يعاقبهم بظهور من يشرب الخمر
في مجتمعهم علانية وفي وقاحة ..

فإذا سئلوا قالوا : خيرنا فاخترنا ؟

ومتى كان المجتمع خائفاً من الله ، يخشى عقوبته في الدنيا ،
والآخرة ، فهو مجتمع راشد يهدف نحو الخير ويعمل له دائماً .

فأين نحن الآن من تلك الصفة ؟

لا شيء ..

المجتمع العربي الآن يتلاشى منه الخوف من الله كما يتلاشى
النهار من الليل .

فما من معصية كبيرة أو صغيرة ، إلا وترتكب فيه ليلاً ونهاراً
في وقاحة وبساطة ، كأنما قد أصبحت عرفاً مقررراً لا تثريب على
فاعليه !

ومن هنا .. يجب ان يبدأ إصلاح المجتمع ..

يجب أن نراجع انفسنا ، ونراجع نظامنا كله ، فإن وجدنا في مجتمعنا معصية ، وجب علينا القضاء عليها فوراً ، قبل أن يقضي انتشارها بيننا علينا جميعاً ..

وما اكثر ما في مجتمعنا من المعاصي .

لقد توقع أبو عبيدة ان يحدث حدث في اهل الشام ، لما شرب بضعة نفر الخمر مرة واحدة ..

فكيف بنا نحن ! وفينا آلاف يشربون الخمر ، وما هو ادهى من الخمر وامر ..

مراراً وتكراراً ..

كيف بنا ، وماذا يحدث فينا من احداث بعد ذلك ؟

قتلى الطاعون ..

اكثر من قتلى الحروب !

الشيء الذي يستوقف النظر أن الطاعون زال عن الشام بعد

ان افنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين الفاً ..

وبعد ان فتك بأهل البصرة اشد مما فتك بغيرهم .. ولا يعلم
إلا الله كم عدد من فتك بهم من اهل العراق .

كان الحارث بن هشام قد خرج من المدينة إلى الشام في سبعين
من اهل بيته ، فماتوا جميعاً ، لم يبق منهم إلا اربعة !
وقيل إن اربعين من ولد خالد بن الوليد .. ماتوا في هذا
الطاعون ..

فما معنى هذا ؟

معناه ان المقادير تسخر من الخلق المسمى بالانسان ..
الانسان يتحاشى الموت بكل ما يستطيع ، ويحرص على حياته
بشتى الطرق ، فيأتي القدر بذلك الطاعون ، ويقضي على آلاف منه
في بساطة !!
تبياناً للانسان انه ميت لا محالة ، هالك رغم انفه ، مهما حاول
الفرار ..

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ﴾ .

وقد تعجب حين تعلم ان قتلى المسلمين في معارك الشام كلها
لا يبلغون عدد قتلى الطاعون الذي حدث لذلك الشام ..

فما معنى ذلك ؟ .

معناه ان الحرص على الموت يهب الحياة ، وليس الحرص على الحياة هو الذي يضمن تلك الحياة ..

لقد مات المسلمون الوفاً مؤلفة بالطاعون .

فماذا عليهم لو ماتوا الوفاً مؤلفة في سبيل الله ؟

فان أبوا ، فسوف يموتون رغم انوفهم ، ولكن وهم اذلاء لا وزن

لهم في الحياة !

*

وهكذا مات ابو عبيدة بن الجراح ..

امين الامة .. حَقَّ امين ..

مات في الطاعون .. شهيداً .. بين جنوده الذين اثرات

يكون بينهم الى آخر لحظة من حياته الكريمة ..

وكان موته سنة ثمان عشرة من الهجرة !!

تخصيتي ...

أبي عبيدة ..

ابن الجراح ..؟!؟

مِثَالِ نَادِرٍ ..

كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. مُثَلِّعِيَا ..

إِلَّا أَنَّهُمْ .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .. دَرَجَاتٍ ..

وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ ..

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ .. مَسْتَوِي رَفِيعًا مِنْ أَوْلَادِكَ الْأَكْرَمِينَ !!

شخصيته من القرآن

أبرز آية في كتاب الله .. تتحدث عن شخصية أبي عبيدة ..
هي قوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ

﴿ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

﴿ وَرَضُوا عَنْهُ

﴿ أولئك حزب الله ﴾

﴿ إلا إن حزب الله هم المفلحون . ﴾

[المجادلة ٢٢]

تلك الآية فيها تحليل كامل لشخصية أبي عبيدة ..
لماذا ؟

لأنها نزلت فيه .. حين قتل أباه في غزوة بدر ..
فزلت تثني عليه .. وتحدث عن أسباب ما فعل
بأبيه .

وها هي عناصر شخصيته كما سجلتها الآية .. ومن أصدق من
الله حديثاً ؟

العنصر الاول ..

ذروة في الايمان :

من قوله سبحانه :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ﴾

نستنبط أن أبا عبيدة يؤمن بالله واليوم الآخر ..

أعلى إيمان بالله .. وأعلى إيمان باليوم الآخر ..

فهو من أسبق السابقين إلى الاسلام .. حيث هو تاسع آمن

سبق إلى الاسلام ..

دخل إلى الاسلام .. في اشق فترة في هذا الدين .. حيث لا

ينتظر آمن آمن إلا العذاب والتضحية بالنفس والمال ا

العنصر الثاني ..

بريء من الكفار ولو كانوا آباءهم :

يستنبط ذلك من قوله تعالى :

﴿ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ..

ما معنى هذا ؟!

معناه أنه انفصل انفصلاً تاماً عن الظلمات ودخل إلى النور ..
وارتفع في مقامات النور ارتفاعاً عظيماً .. فتعدّر عليه أن يقوم
بينه وبين احد من اهل الظلمات أي علاقة .. ولو كان هؤلاء
آباءً أو أبناءً أو إخواناً أو عشيرة !!

وهذا دليل على عظيم ارتفاعه في مقامات النور ..
وكلما ارتفع المرء في درجات النور .. اشتدُّ بُعْدُهُ عن اسافل
الظلمات ..

فمستحيل ان يكون هناك وُدٌ بينه وبين ابيه .. لأنّ الوُدَّ
إحساس قلبي ..

وموجات اهل النور .. مضادة اوتوماتيك لموجات اهل
الظلمات ..

فتجد الوُدَّ يقوم بين أبي عبيدة المهاجر .. وبين اخيه
سعد بن معاذ الأنصاري - مثلاً - ولا يقوم بين أبي عبيدة
المؤمن . وبين أبيه الكافر المحارب لله ورسوله !!

لماذا ؟!

لأن موجة أبي عبيدة .. وموجة سعد بن معاذ .. متماثلتان ..
موجتان نورانيتان .. فهما متحابان .. اوتوماتيك ..

أما موجة أبي عبيدة .. وموجة ابيه .. فهما متضادتان ..
أبو عبيدة .. نور ..

وأبوه .. ظلمة ..

فهناك استحالة ان يتوادا

ولو كان اباه .. الذي وُلِدَ من صُلبِهِ !

نواميس عميقة جداً ..

قليل اولئك الذين لها يعلمون !!

ولذلك يسجل الكتاب العظيم :

﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾ !!

لقد فصلت النواميس الإلهية بينهما .. منذ دخل أبو عبيدة

هذا الدين مسلماً !!

* * *

العنصر الثالث ..

كُتِبَ اللهُ في قلبه الايمان :

ما معنى :

﴿ اولئك كتَبَ في قلوبهمُ الايمانَ ﴾ ۱۱

معناه عميقٌ سحيقٌ .. فلعلك تفهم ۱۱

أي اثبت في قلوبهم الايمان ..

أي اعطاهم نسبةً زائدةً من الايمان ..

قسطاً وافراً من الايمان .. يزيد عن العادة ..

ما أثر ذلك في شخصية أبي عبيدة !!

أثره بعيد .. مديد !!

تتوالى الاحداث .. مرّها وحلّوها .. فلا تأثير لها في سلوكيات

أبي عبيدة !

يُضْرَبُ بالقوارع المهلكات .. التي تزول منها الجبال ..
وهو ثابت كالطود الراسخ .. تتكسر على جوانبيه القوارع
ولا يزول !!

وتأتيه الدنيا بأعظم ما فيها من الفتن التي يتصارع من أجلها
الملك ..

فيرفضها روضاً باتناً !!

مثال ذلك من شخصيته ..

حين رشحه أبو بكر للخلافة يوم السقيفة .

فأبى !!

وحين رشحه عمر .. للخلافة .. حين أراد أن يستخرجه
من طاعون الشام .. ليستبقه ليكون أميراً للمؤمنين من
بعده ..

فأبى !!

قارن بين أبي عبيدة هنا في الموقفين ..

وبين أولئك الصعاليك .. الذين يرتكبون قاذورات الجرائم
والمؤامرات .. ليصعدوا إلى عروش فوق بحار من الدماء !

تُدْرِكُ فوراً .. عظمة أبي عبيدة ..

رجل .. عُرضت عليه الخلافة مرتين ..

فيأبى ..

وآثر أن يموت بين حنديه في المرة الأخيرة .. على أن يكون
أميراً للمؤمنين !!

وأى منصب هذا الذي رفضه أبو عبيدة ؟

اميراً للمؤمنين .. على عرشٍ يحكم آنذاك العالم بأكمله ..

كانت الدنيا قد سقطت كلها تحت قدمٍ عمر آنذاك ..

هذا هو العرش الذي يعرضه عليه عُمر .

عرش .. ينتظمُ ملكُ الأكَسرة شرقاً ..

وُملكُ القياصرة غرباً ..

اي أنّ أبا عبيدة لو قبل .. لصار ملكاً للملوك ..

ولكن ..

قال : لا !!

ذلكم أبو عبيدة ايها الغافلون عن عظمة العظماء !!

العنصر الرابع ..

﴿ وَايِدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ :

ما معنى قوله :

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ !!

معناه .. بجر موج زخار !!

رُوحٍ ؟!

رَمَّنْ ؟!

﴿ مِنْهُ ﴾ !!

ها هنا سر شخصية أبي عبيدة ... ايها الباحثون عن حقيقة

أبي عبيدة !!

هناك تأييد ..

﴿ وَايَّدَهُمْ ﴾ ..

بماذا ١٤

﴿ بروح ﴾ !!

ما هي هذه الروح ١٤

هي ما وراء النور ..

مرتبة أعلى من النور ..

لا يظفر بها إلا المخلصون !!

كان أبو عبيدة يُسقى منها !!

فما سمعت من عجائبه ..

فذلك منبعها !!

ومن أيده الله بروح منه ..

يرى كل شيء صغيراً ..

بل يتلاشى كل شيء من قلبه .. ولا يبقى إلا الله !!

كان أبو عبيدة قائداً عاماً للقوات الإسلامية المسلحة

بالشام ..

وذهب امير المؤمنين عمر .. ليزوره في بيته .. فهاذا وجد

عمر ١٤

لم يجد شيئاً غير أداة حربه .. وإناء للماء !
ولو تبجح أبو عبيدة قليلاً ما عاب عليه احد ..
ولكنّ ابا عبيدة ..

مقام أعلى !!

مقام ..

﴿ وايدَهُمْ بَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ !!

* * *

العنصر الخامس ..

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ :

انَّ ابا عبيدة احد العشرة المبشرين بالجنة !!

وهؤلاء اِنما بُشِّروا .. حيث لا خوف عليهم اِذَا بُشِّروا ..

أَن يَفْتَنُوا !

وهذا مقام رفيع .

حيث كوشفوا بمصيرهم السعيد .. فلم يزدحم ذلك إلا اخلاصاً

وتثبيتاً !!

أما نحن العوام .. فلا يكشف لنا ذلك .. لأننا لسنا اهلاً

لذلك !!

العنصر السادس ..

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

وهذا أعلى مقام يمكن ان يبلغه السالكون إلى الله .. ليس
فوقه إلا مقام النبوة ..

ومقام الرضوان ..

مقام اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وكان أبو عبيدة .. في اعلاها !!

المنصر السابع ..

﴿ اولئك حزب الله ﴾ :

وكان ابو عبيدة .. في قمة ذلك الحزب ..
وهكذا حددت الآية عناصر شخصية أبي عبيدة ..

اولا .. ذروة في الايمان ..

ثانياً .. برىء من الكافرين ..

ثالثاً .. كتب في قلبه الايمان ..

رابعاً .. ايدهُ بروحٍ مِثْنهُ ..

خامساً .. في اعلى درجات الجنة ..

سادساً .. رضيَ اللهُ عنه ورضيَ عنه ..

سابعاً .. في قمة حزب الله ..

فاغنت الآية الباحثين عن شخصية أبي عبيدة أن يبحثوا

طويلاً !!

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

يتحدث عن شخصية ..

ابي عبيدة ؟!

اعلان إلى الامة كلها :

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« إن ليكل أمة امينا ..

« وإن اميننا

« أيتها الأمة ..

« ابو عبيدة بن الجراح .. »

ما معنى هذا ١٢

معناه .. اعلموا جميعاً .. إلى يوم القيامة ..

أنّ صفة الأمانة .. هي أبرز صفات أبي عبيدة ..
العليا ..

آيتها الأمانة ١٢

يا كلّ فرد في الأمة الاسلامية .. ليس أحدٍ مثل
أبي عبيدة أمانة !!

★

أَمِينًا حَقًّا أَمِينٍ :

« قال النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. لأهل نجرانَ :

« لأبمَثَنٍ .. عليكم -

« أَمِينًا حَقًّا أَمِينٍ ..

« فأشرفَ أصحابه ..

« فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ .. »

تأكيد آخر بعد تأكيد ..

وتشريف بعد تشريف ..

حقّ أمينٍ!؟

الكل يتطلع أن يكون هذا الأمين ..

فبعث أبا عبيدة !!

وامين هذه الأمة ؟!

ومن حديث الترمذي :

« .. ولكلُّ أمةٍ أمينٌ .. »

« وامينُ هذهِ الأمةِ .. »

« أبو عبيدَةَ بنُ الجراحِ .. »

الصفة الغالبة ..

في شخصيته ..

الأمانة !!

الأحاديث كلها .. تتضافر في اثبات صفة الأمانة لأبي

عبيدة ..

فما هي هذه الامانة ؟!

وما معنى أمين الأمة ؟!

معناه أن "أبا عبيدَةَ" .. اوتي نسبة زائدة عن غيره من

الامانة ..

انّ الامانة هي الصفة الغالبة من صفاته ..

ولكن ما هي هذه الامانة ؟

بالتأمل في تصرفات أبي عبيدة في الاعوام الثلاثين التي
قضاها في الإسلام .. نلمس بروز هذه الصفة في احواله
كلها ..

سبق غيره إلى الاسلام ..

وهذه امانة ..

حيث ان الله خلق الإنسان ليكون له عبداً .. فكان أسبق

الناس لتحقيق ذلك من نفسه !!

وشهد مشاهد الاسلام كلها ..

في عصر النبوة ..

وعصر أبي بكر ..

وعصر عمر ..

حتى توفاه الله .. فما افتتن في موقف من المواقف .. وما

بدّل تبديلاً ..

وهذه أمانة !!

والتقى بأبيه في غزوة بدر .. فقتله في الله ..
وهذه اقصى الأمانة ..

حين يضحي بشاعره كلها في الله !!

وطلب وفد نجران .. ان يبعث معهم أميناً ..
فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« قمم .. يا ابا عبيدة بن الجراح » !!

ونازعه عمرو الإمارة ..

فتركها لعمرو ..

وتطاول له ..

وصلى خلفه ..

وهذه امانة !!

ورشحه أبو بكر .. ليكون خليفة .. يوم السقيفة ..
فأبى ..

وهذه امانة ..

بل قمة الأمانة !!

وعزله أبو بكر عن القيادة .. ووكل خالداً مكانه .. تُقبيل
معركة اليرموك ..

فقال قولته الخالدة :

« بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى ..

« وحيثما الله خالداً .. » !!

وأىّ امانة هي اعظم من هذا !؟

ونظّم خالد بن الوليد .. جيوشه لمعركة اليرموك .. وجعل
أبا عبيدة على القلب ..

فرضي أبو عبيدة .. واخلص في المعركة .. وهو المعزول
منذ ساعات ..

وهذه امانة !!

وعينهُ عمر .. قائداً عاماً ..

بدلاً من خالد ..

فحفظ لخالد مكانته .. واشركه في قيادة فتوحاته بالشام ..

وهذه امانة !!

وأمر له عمر .. بأربعة آلاف درهم .. بعد ان قام بتوزيع
المعونات ..

فقال :

« لا حاجة لي فيها يا امير المؤمنين ..

« إنما اردت الله وما قبله ..

« فلا تدخل عليّ الدنيا .. »

وهذه امانة !!

لا يريد حظاً من الدنيا قط !!

واخيراً .. وليس آخرأ ..

أراد عمر .. في عام الطاعون .. ان يستدعيه ليستبقيه

عنده .. ليكون أميراً للمؤمنين من بعده ..

فأبى ..

وهذه امانة !!

وصفات من مكارم الأخلاق لا تحصى !!

لقد بلغت صفة الأمانة فيه اعلاها ومنتهاها !!

— تم —

فهرس

صفحة	
٧	مقدمة
١١	ذلكم .. ابو عُبيدَة .. بنُ الجراح ؟!
	الخطوط العريضة .. من حياة .. أبي عُبيدَة
١٩	ابن الجراح ؟!
٣١	متى .. أسلمَ .. البطل ؟!
٣٧	ابو عُبيدَة .. مهاجراً .. إلى الحبشة ؟!
٥٥	ابو عُبيدَة .. مهاجراً .. إلى المدينة ؟!
	ثمَّ يا ابا عُبيدَة بنَ الجراح .. فلما قام ..

- قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
- ٦٩ هذا امينُ هذهِ الأمةِ !؟
- ١٠١ هل قَتَلَ ابو عُبيدَةَ .. اباه المشرك .. يومَ بدرِ !؟
- ١١٥ ابو عُبيدَةَ .. في غزوة .. أُحُد !؟
- ١٤١ ابو عُبيدَةَ .. يوم .. فتح مكة !؟
- ١٧٧ ابو عُبيدَةَ .. أميراً على .. ابي بكر .. وُعمَر !؟
- ١٨٧ عرضت عليه .. الخلافة .. فأبى !؟
- ٢٢٥ ابو بكر .. يأمر بقتال .. امبراطورية الروم !؟
- ٢٤٢ سيف الله .. قائداً عاماً .. للقوات الإسلامية المسلحة !؟
- ٢٥٧ بطل .. معركة .. اليرموك !؟
- ٢٧٧ ابو عبيدة .. وزيراً للمالية .. في عهد ابي بكر ..
- امين الأمة .. ابو عُبيدَةَ بن الجراح .. قائداً عاماً ..
- ٢٨٣ للقوات الإسلامية المسلحة !؟
- ٢٨٩ ابو عُبيدَةَ .. يفتح دمشق .. ومعه خالد بن الوليد !؟

- القائد العام الجديد (ابو عبيدة)
والقائد العام السابق (خالد)
- ٣٠٧ يتسابقان إلى النصر !؟
- ٣٣٣ ابو عبيدة .. يشهد استلامُ عمر .. لبنت المقدس !؟
- ٣٥٩ الأمة كلها .. تهرع .. لنجدة ابي عبيدة !؟
- النبيل ابو عبيدة .. تتلأأ مكارمه .. عندما حوكم ..
- ٣٧٣ خالد بن الوليد !؟
- في عام المجاعة .. ابو عبيدة يقول لعمر :
- ٣٩١ لا حاجة لي فيها .. يا امير المؤمنين !؟
- ابو عبيدة .. يقول لعمر :
- ٤٢٧ «أفراراً من قَدَرِ الله .. يا عمر !؟»
- ٤٤٩ شخصية .. ابي عبيدة .. بن الجراح !؟
- ٤٧٧ فهرس

ماذا في هذا الكتاب !!

فيه حياة من قال فيه .. رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم :
« لكل أمة أمين .. »
« وامين هذه الأمة .. »
« أبو عبيدة بن الجراح . » !!

وقال فيه رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم :

« نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ .. »
« نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ .. »
« نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ . » !!

الرجل الذي عرض عليه أن يكون
أميراً للمؤمنين .. مرتين .. فابى !!